
أجاثا كريستي
الكأس الأخيرة
المكتبة الثقافية
بيروت - لبنان
www.liilas.com

اجاثا كريستي

بقلم: اجاثا كريستي

ولدت في مقاطعة ديفونشير بانجلترا، وقضيت طفولة سعيدة إلى أقصى درجات السعادة، تكاد تكون خلواً تماماً من أعباء الدروس والاستذكار، فانفسح لي الوقت كي أتجول في حديقة بيتنا الواسعة وأسبح مع الخيال ما شاء لي الهوى.

والى والدتي يرجع الفضل في اتجاهي الى الكتابة والتأليف، فقد كانت سيدة ذات فتنة، ساحرة الشخصية، قوية التأثير، وكانت تعتقد اعتقاداً راسخاً أن أطفالها قادرون على كل شيء.. ففي ذات يوم – وقد أصبت ببرد شديد ألزمني الفراش – قالت لي:

– خير لك أن تقطعي الوقت بكتابة قصة قصيرة وأنت في فراشك

– ولكني لا أعرف.

– لا تقولي لا أعرف، فانك، طبعاً، تعرفين. حاولي فقط وسترين.

وحاولت، ووجدت متعة في المحاولة، فقضيت السنوات القليلة التالية أكتب قصصاً قابضة الصدر، يموت معظم أبطالها، كما كتبت مقطوعات من الشعر ورواية طويلة احتشد فيها عدد هائل من الشخصيات بحيث كانوا

يختلطون ويختنقون لشدة الزحام ثم خطر لي أن أكتب رواية بوليسية ، ففعلت واشتد بي الطرب حين قبلت الرواية ونشرت . وكنت حين كتبتها متطوعة في مستشفى تابع للصليب الأحمر أبان الحرب العالمية الأولى .

وإذا سألتموني عن ميولي ، فاعلموا اني أحب الأكل ، وأكره طعم كل شرب يدخل في صناعته الكحول ، وانني حاولت التدخين مراراً فلم أجد ما يغريني بالمداومة عليه . ولكني أعبد الأزهار ، وأهيم بالبحر ، وأحب المسرح وأكره الأفلام الناطقة ، ويعجز تفكيري عن متابعتها ، وأكره الاذاعة وكل ما يحدث ضجة وضوضاء ، وأكره حياة المدن .

وهوايتي السفر ، ولاسيما في بلدان الشرق الأدنى لأنني أحب الصحراء حباً جماً .

شخصيات الرواية

روز ماري بارتون : شابة جميلة ماتت في ظروف غامضة .

جورج بارتون زوج روز ماري . رجل هادىء الطباع في الأربعين من عمره .

ايريس مارل : الشقيقة الصغرى لروز ماري ، فتاة رقيقة خجول .

روث ليسنج : سكرتيرة جورج بارتون ، فتاة قوية الشخصية .

مسز لوسيلا دريك : عمة روزماري وإيريس مارل أرملة ثرثارة .

فكتور دريك الابن المدلل الفاسد في أسرة مارل .

ستيفن فاراداي : سياسي شاب طموح . صديق روزماري .

الكسندر فاراداي : زوجة ستيفن وإبنة اللورد كيدرمنستر .

اللورد كيدمنستر : رب أسرة انجليزية عريقة واسعة النفوذ

انتوني براون شاب وسيم غامض الأصل .. صديق روز ماري

الكولونيل ريس : مدير سابق لإدارة مكافحة الجاسوسية .

المفتش كومب مفتش البوليس بادارة اسكتلانديارد .

اوجليفي : عميل جورج بارتون في بيونس إيريس .

جوزيب بلـ نو : جرسون في مطعم اللوكسمبرج

بطرس : جرسون مساعد في مطعم اللوكسمبرج .

بدرو موريلز : سائح مكسيكي من رواد مطعم اللوكسمبرج.

كريستين شانون : غانية شقراء ، وصديقة بدرو موريلز.

جيرالد تولنجتون ضابط شاب في الحرس الملكي .

ليدي باتريشيا برايس : خطيبة الضابط الشاب جيرالد تولنجتون .

كلو وست ممثلة حسناء مغمورة

الفصل الاول

روزماري

كانت إيريس مارل تفكر في أختها روزماري .

ومنذ عام ، وفي خلال هذا العام، وهي تحاول أن تبعد عن ذهنها التفكير في روز ماري . فهي لا تريد أن تتذكر

فإن الذكرى مؤلمة جداً .. وفظيعة جداً

الوجه الأزرق المسموم ، والاصابع المتوترة المتصلبة . الملتوية .

والفارق الرهيب بين هـــذا المنظر ، وبين منظر روزماري الفاتن الزاخر بالحيوية والابتهاج قبل ذلك الحادث بيوم ، أو بلحظات

حسناً .. لعلها لم تكن زاخرة بالحيوية والابتهاج تماماً ، فقـد كانت تعاني من نزلة برد ، انفلونزا ، خلال الأسبوع السابق على الحادث .. وكانت روحها المعنوية هابطة ، وشعورها بالانقباض شديداً . وقد نوقش هذا كله في جلسة التحقيق ، وقد اكدت إيريس نفسها هذه الحقيقة لأنها تفسر الحادث بأنــه حادث انتحار روزماري .؟

وبعد انتهاء جلسة التحقيق وحفظ القضية على انها حادث انتحار، حاولت إيريس – عن عمد – أن تجنب نفسها التفكير في الموضوع كله .. أن تنسى الحادث المؤلم الرهيب ، فما هي فائدة الذكرى ؟!

ولكنها أدركت الآن أن عليها ان تتذكر .. عليها أن تعود الى الماضي . أن تستعيد في ذاكرتها بكل عناية جميع التفصيلات أيا كانت بساطتها وتفاهتها .

* * *

إن اجتماعها امس بجورج بارتون – زوج أختها روزماري – هو السبب في إحياء هذه الذكريات ، وبعثها من مرقدها

لشد ما كان هذا الاجتماع رهيباً ، غير منتظر .. ولكن ، لا ، ألم يكن منتظراً حقاً ! ، ألم تكن ثمة قرائن تنم عليه من قبل ! ألم يكن جورج قد بدأ في الاسابيع الاخيرة يستغرق كثيراً في التفكير ، وفي الذهول ، وفي النسيان ، وفي كثير من التصرفات التي كانت تجعله غريباً شاذاً في نظرها ، حتى عرفت الحقيقة ليلة أمس عندما استدعاها الى غرفة مكتبه وأخرج الرسالتين من الدرج !

وهكذا لم يعد ثمة مفر من العودة الى الذكرى ، الى التفكير في مأساة روزماري ، روزماري !. شقيقتها

وفوجئت إيريس حين أدركت انها لأول مرة في حياتها تفكر في روز ماري ، تفكر فيها على انها شخص .. إنسان . !!

لقد كانت من قبل ، طول عمرها ، تشعر بوجود روز ماري في حياتها ، دون أن تفكر فيها ، فالانسان – عادة – لا يفكر في أمه أو أبيه أو أخته أو عمته .. لأنهم موجودون .. لا يشك في وجودهم ، ولا يشك في علاقته بهم

إنه لا يفكر فيهم على انهم اشخاص – بل لا يسأل نفسه . ما هو شكلهم .. وما هي طباعهم ؟

ماذا كان شكل روز ماري .. وماذا كانت طباعها ؟!

قد يكون لهذا السؤال قيمة هامة الآن .. قيمة يتوقف عليها الشيء الكثير .! وإن إيريس لتعود بذاكرتها الى الماضي .. الى عهد طفولتها مع روز ماري .

لقد كانت روز ماري تكبرها بستة أعوام .

* * *

إن لمحات من الماضي ترتد اليها ، ومضات سريعة ، مناظر قصيرة .. إنها تتذكر نفسها طفلة تأكل الخبز واللبن . وروز ماري « صبية » جميلة .. ذات ضفائر وأشرطة ، تستذكر دروسها على المائدة

ومواسم الاصطياف . ا على شاطىء البحر ، إيريس طفلة تلعب على الرمال ، تحسد روز ماري « الفتاة » التي تعرف كيف تسبح

وتذهب روز ماري الى مدرسة داخلية ، وتعود الى البيت في العطلات المدرسية ، ثم يأتي الدور على إيريس لتلتحق بالمدرسة أيضاً ولكن روز ماري تكون قد فرغت من دراستها الثانوية في باريس .. لقد ذهبت روز ماري الى باريس فتاة عجفاء ، طويلة الذراعين والساقين ، لتعود من باريس غادة « مكتملة » رشيقة ناعمة الصوت ، رقيقة الحركة ، ذهبية الشعر ، واسعة العينين ، باهرة الجمال الى حد يدير الرأس ، فتاة مكتملة النضج ، رائعة الحسن .

ومنذ ذلك الحين والاختان لا تلتقيان إلا لماماً ، برغم معيشتهما تحت سقف واحد ، فقد كانت السنوات الست ، هوة واسعة بينهما

فإيريس لم تزل تلميذة بالمدرسة ، وروز ماري في خضم الحياة الاجتماعية الثائرة الفائرة ، وقد ظلت الهوة الواسعة بينهما حتى بعد أن عادت إيريس من المدرسة لتستقر في البيت ، ذلك أن حياة روز ماري كانت نوماً في الفراش الى الضحى ، ثم طعام الغداء بين الاصدقاء والمعجبين والمرشحين للزواج منها ، ثم استعداداً للحفلات الساهرة معظم أيام الاسبوع ، حيث الرقص ، والبهجة ، والمرح . أما حياة إيريس فكانت دروساً خاصة في اللغة الفرنسية وآدب المجتمع على يدي مدرسة فرنسية . ثم نزهة في الأصيل مع الوصيفة في الحديقة العامة .. ثم العشاء في التاسعة تماماً ، ثم النوم في تمام العاشرة .

ولم تكن علاقة الاختين تتجاوز لحظات عابرة خاطفة أثناء النهار ، حيث تتبادلان عبارات كهذه :

– هالو إيس ، ارجو منك أن تستدعي سيارة مأجورة بالتليفون .. هلم يا عزيزتي الصغيرة الوادعة ، فاني سأتأخر الليلة كثيراً

أو :

– إنني غير معجبة بفستانك هذا الجديد يا روز ماري ، إنه صارخ صارخ الألوان أكثر مما ينبغي

ثم . إعلان خطبة روز ماري لجورج بارتون ، الابتهاج . الانفعالات .. عمليات الشراء ، التجهيز ، إعداد أثواب الزفاف

والزفاف .. وإيرس – كوصيفة شرف – تسير وراء روز ماري في ممر الكنيسة الى المذبح ، وهمسات الاعجاب بالعروس تتطاير حولها :

« ما أروع جمالها ، ما أبهره . »

لماذا تزوجت روز ماري جورج بارتون !؟ إن إيريس ، حتى يوم الزواج ، كانت تسأل نفسها هذا السؤال في دهشة . فقد كان هناك ، حول روز ماري

شبان كثيرون يتمتعون بالشباب ، والجاذبية ، وجمال السمت ، وخفة الظل .. كلهم كانوا يتمنون الزواج منها . فلماذا اختارت جورج بارتون الذي يكبرها بخمسة عشر عاماً ، والذي تنقصه الجاذبية وحيوية الشباب وإن توافرت فيه عناصر الطيبة وكرم الاخلاق وهدوء الطباع

حقاً إن جورج رجل ثري ، ولكن المال ليس كل شيء . لم تكن له مكانة هامة في نظر روز ماري ، لأنها لم تكن في حاجة الى المال .. كان لديها الكثير منه ، كانت لديها الثروة الضخمة الموروثة عن العم بول .

* *

إن إيريس تركز الآن ذكرياتها في الماضي .. تحاول أن تفرق بين ما تعرفه الآن ، وبين ما كانت تعرفه يومذاك

فمثلا .. العم بول !!

إنه لم يكن عماً حقيقياً ، وهي تعرف هذه الحقيقة دائماً . دون أن تخبر أحداً – على وجه التحديد – أنها تعرف بعض الحقائق الخاصة ، فقد كان بول بنيت يحب أمها اقوى وأخلص ما يكون الحب . ولكن أمها فضلت عليه شخصاً آخر ، أقل مالاً . إنه والدها ، والد إيريس وروز ماري . وتحمل بول بنيت هزيمته بروح رياضية عالية . وتحول الحبيب المهزوم الى الصديق الوفي . صديق العائلة .. وأصبح « العم بول » الوالد الروحي لروز ماري .. الإبنة البكر ، فلما مات ، تبين الجميع انه أوصى بكل ثروته لابنته الروحية روز ماري ، وكانت في الثالثة عشرة من عمرها .

وكانت ثروة ضخمة

وأصبحت روز ماري ، علاوة على جمالها وصباها ، مليونيرة .. ومع ذلك تزوجت من جورج بارتون ، الطيب القلب ، الثقيل الظل ، الذي يكبرها

بخمسة عشر عاماً

لماذا ؟! لقد تساءلت ايريس كثيراً ، كما تتساءل الآن . ! إنها تعتقد تماماً ان روز ماري لم تحب جورج يوماً .. ولكن كان يبدو عليها أنها سعيدة في حياتها معه ، كانت تميل اليه . نعم . كانت تعزه . ولكن ثمة فارق كبير بين الميل والإعزاز وبين الحب . !

* * *

إن إيريس تعرف هذه الحقائق عن علاقة روز ماري بزوجها لأنها جاءت لتعيش معهما في بيت واحد بعد الزواج بعام – أي عقب وفاة أمها فيولا مارل

وكانت يومذاك في السابعة عشرة من عمرها

وإنها الآن تحاول أن تتذكر كيف كانت وهي في السابعة عشرة من عمرها ؟! كيف كان شكلها .. ماذا شعرت ، ماذا فكرت ، ماذا رأت ؟!

لقد انتهت من تفكيرها بأن إيريس ابنة السابعة عشرة ، كانت فتاة بطيئة النمو ، بطيئة التفكير ، تتقبل الأشياء كما هي ، فمثلا ، هل كانت ساخطة لأن أمها ظلت طول حياتها تخص بعنايتها ورعايتها روزماري دونها ؟! لا .. لقد تقبلت هذه الحقيقة الواقعة في هدوء وبين تردد .. لقد تقبلت « الحقيقة » بأن روز ماري تتمتع بمكانة خاصة في محيط الأسرة ، بأن روز ماري « شيء خاص » .. وبأنه من الطبيعي جداً أن تعنى أمها – بقدر ما تسمح به صحتها الضعيفة – بابنتها البكر روز ماري .. وبأن دورها في الاستمتاع برعاية أمها سوف يحل في الوقت المناسب ، وما عدا هذا فقد كانت فيولا مارل دائماً أماً – من بعيد – مشغولة بصحتها الضعيفة ، معتمدة في تربية ابنتها على المربيات ، والمدرسات ، والمدرسة ، ولكنها كانت دائماً رقيقة عطوفاً حانية خلال

الفترات القليلة التي تجتمع فيها معها ، وكان هكتور مارل – الوالد – قد توفي حين كانت إيريس في الخامسة من عمرها ، وهي لا تدري كيف تسربت الى عقلها وشعورها تلك الأنباء القائلة إن أباها مات بسبب الإسراف في شرب الخمر .

وأيا كان الأمر ، فقد كانت إيريس – وهي في السابعة عشرة من عمرها – فتاة وادعة تتقبل الحياة كما هي ، بكت أمها بعد الوفاة كثيراً ، وارتدت عليها ملابس الحداد .. ومضت لتعيش مع أختها وزوجها في منزلها الكبير بشارع إلفاستون سكوير .

وكانت الحياة في ذلك البيت مملة أحياناً . فلم يكن مسموحاً لإيريس طبقاً للتقاليد أن تشترك في الحياة الاجتماعية خارج البيت إلا بعد عام .. أي بعد بلوغها الثامنة عشرة من عمرها . وفي خلال هذا العام كانت تتلقى دروساً في اللغتين الفرنسية والالمانية بمعدل ثلاث مرات في الاسبوع ، وتتردد على معهد ليلى لدراسة التدبير المنزلي . ولكن كانت تأتي في حياتها ، خلال هذا العام ، فترات لا تجد فيها ما تفعله ، أو من تتبادل معه الحديث . وقد كان جورج دائماً طيب القلب ، عطوفاً ، يحبها كشقيق ، ولم تتغير عواطفه نحوها حتى الآن .

وروز ماري ؟! ماذا عنها ؟!

ان إيريس لا تذكر إلا الشيء القليل عن روز ماري .. فقد كانت روز ماري مشغولة دائماً بشؤونها الخاصة .. متاجر الأزياء ، حفلات الكوكتيل .. السهرات الراقصة ، الاصدقاء وألعاب البريدج

ما هي المعلومات الحقيقية التي تعرفها إيريس عن روز ماري وهي تفكر فيها الآن ؟! ماذا تعرف عن ذوقها ، عن آمالها ، وعن مخاوفها ؟!

أليس من المؤلم أن يعيش الانسان مع شقيقته تحت سقف واحد ، ثم لا

يكاد يعرف عنها شيئاً ؟!

لم يكن بين الأختين هذه الألفة التي ترفع من بينها الكلفة .

ولكن ، عليها أن تفكر الآن . أن تتذكر .. فلعلّ هذه الذكريات نتائج هامة ، حقاً كان يبدو على روز ماري انها سعيدة في حياتها

●

حتى ذلك اليوم السابق على المأساة .. بأسبوع

إن إيريس لن تنسى هذا اليوم ، انها تذكر مكتب روز ماري اللامع .. المقعد المدفوع الى الوراء ، الكلمات المكتوبة بسرعة واضطراب .

إنها تغمض عينيها ، وتركز ذهنها في ذكريات هذا اليوم .

إنها تذكر كيف دخلت على روز ماري في غرفة جلوسها الخاصة ، وكيف توقفت فجأة في دهشة ورهبة وهي ترى أختهـا معتمدة برأسها على ذراعيهـا المبسوطتين فوق المكتب، تبكي ، تبكي بعنف وقوة ، انها لم ترَ روز ماري من قبل باكية ، ومن ثم فقد فزعت وهي تراها تبكي بكل هذه المرارة والألم والعنف .

حقاً كانت روز ماري تعاني من نزلة برد عنيفة ، وانهـا لم تغادر الفراش إلا منذ يومين ، وأن كل انسان يعرف الأثر السيء الذي تتركه الانفلونزا في الروح المعنوية للمريض

وصاحت إيريس في صوت كله الطفولة والبراءة :

– أوه .. روز ماري .. ماذا بك ؟!

وانتصبت روز ماري في جلستها ، وأزاحت خصلات شعرها الى الوراء، وقالت بسرعة وهي تحاول أن تسيطر على أعصابها :

– لا شيء ، لا شيء .. لا تحدقي النظر في وجهي هكذا

ثم نهضت ، وأسرعت بمغادرة الغرفـة . وازدادت دهشة إيريس وهي تطوف بنظراتها في جوانب الغرفة حتى وقعت عيناهـا على المكتب ، ولمحت اسمها مكتوباً بين الكلمات التي كانت أختها تكتبها . ترى ، هل كانت روز ماري تكتب رسالة اليها

اقتربت من المكتب، ونظرت الى الورقة الزرقاء التي تحمل كلمات مكتوبة بخط روز ماري ، مكتوبة بسرعة ، واضطراب ، وانفعال

« عزيزتي إيريس :

« ليس هناك ما يستدعي ابداً لأن اكتب وصية . لأن ثروتي كلهـا ستنتقل اليك طبيعياً ، ولكني أريـد فقط أن اهب بعض ممتلكاتي الخاصة لأشخاص معينين .

« اني أهب يجورج جميع الحلى والجواهر وعلبة المصاغ المطلية بالميناء التي اشتريناها معاً يوم إعلان خطبتنا .

« وإلى صديقتي جلوريا كنج علبة السجاير البلاتينية .

« والى ميزي التمثال الخزفي للجواد الصيني الذي طالمـا أعربت عن إعجابها به .

« والى .....»

* * *

وتوقفت عن الكتابة هنا لتترك العنان لدموعها الساخنة الحرّى

وتسمرت إيريس في مكانها كتمثال من حجر .

ما معنى هذا ؟! إن روز ماري ليست في طريقها الى الموت ..؟ أم لعلها في الطريق اليه ؟! لقد كانت مريضة جداً بالانفلونزا .. ولكنها الآن في دور

النقاهة والناس عادة لا يموتون بالانفلونزا .. وقد يموت بعضهم .. ولكن روز ماري لم تمت ، وهي في حالة طيبة الآن برغم شحوب وجهها وانقباض صدرها ..

وعادت إيريس تطوف بنظراتها على الورقـــة مرة أخرى ، ثم تسمرت نظراتها على هذه الجملة التي تركت في نفسها أثراً كبيراً . « ثروتي كلها ستنتقل إليك طبيعياً » .

كانت تلك أول ومضة من الحقيقة التي عرفتها فيما بعد بشأن وصيـــة العم بول فقد كانت تعرف منــذ طفولتها أن روز ماري ورثت عن العم بول كل ثروته ، وانها أصبحت موفورة الثراء بينما بقيت هي ، نسبياً فقيرة . ولكنها ، حتى هــذه اللحظة ، لم تسأل عما قد يحدث للثروة الضخمة بعد وفاة روز ماري

ولو انها سئلت في هذا الشأن ، لقالت إنها تعتقد أن الثروة ستنتقــل الى جورج زوج روز ماري ولأردفت قائلة إنه ليس من المعقول ، او المقبول ، أن تموت روز ماري قبل جورج .

ولكن ها هي ذي الحقيقة ، مكتوبة بالمداد الأسود ، وبخط روز ماري ، تعلن أن الثروة الضخمة ، سوف تنتقل بعد وفــــاة ماري إلى إيريس !. ولكن . لا يتفق هذا ، تأكيداً ، مع القانون فالزوج أو الزوجـة هما الوارثان لبعضهما البعض وليست الأخت ، إلا إذا كانت وصيـــة العم بول بنيت تنص على انتقال الثروة الى الأخت ، ولا شك أن هذه هي الحقيقـة لا شك أن العم بول اشترط في وصيته أن تؤول الثروة إلى إيريس بعد وفاة روز ماري .

وهذا يخفف من الظلم . !

الظلم !! لقد فوجئت إيريس حين ومضت هذه الكلمة في ذهنهـا ! هل كانت تفكر دائماً في انه من الظلم أن تظفر روز ماري بكل ثروة العم بول ،

هل كانت تعتقد هذا في قرارة نفسها ؟ بالتأكيد ؟ إنه ظلم بين فهما شقيقتان هي روز ماري .. كلاهما من أم واحدة .. فلمــاذا يخص العم بول روز ماري بكل ثروته .

إن روز ماري تظفر دائماً بكل شيء .؟!

حفلات .. وملابس .. وشبان يعرضون قلوبهم تحت قدميها ، وزوج محب عطوف .

إن الشيء الوحيد السخيف الذي عانته روز ماري في حياتها هي إصابتها بنوبة انفلونزا ، وحتى هذه النوبة لم تستمر أكثر من اسبوع

وترددت إيريس برهة وهي واقفة بجانب المكتب ، وصفحة الورق ، هل أرادت روز ماري أن تتركها هكذا ليراها الخدم ؟!

وبعد تردد خفيف ، تناولت الورقة ، وطوتها ، ودستها في أحد أدراج المكتب ، وعثر المسؤولون عليها عقب المأساة ، واتخذوا منها دليلاً – إذا كان ثمة حاجة الى دليل – على ان روز ماري كانت تعـاني من الانقباض ، وهبوط الروح المعنوية واضطراب التفكير ، عقب مرضها ، ولعل هذا كله قـد أثار في ذهنها التفكير في الانتحار ...

« الانقباض النفسي بعد الانفلونزا » هذا هو القرار الذي برر بـــه المحققون في جلسة التحقيق سبب انتحار روز ماري ، وهـو قرار ساعدت إيريس على اتخاذه ، وأياً كان الرأي في هذا القرار ، فـلم يكن ثمة قرار آخر يمكن للمحققين أن يتخذوه . هذا وقد كانت الانفلونزا عنيفة في هـــذا العام بالذات .

ولم يكن في وسع ايريس ، أو جـورج ، ان يفكرا في سبب آخر يبرر انتحار روز ماري .

إن ايريس لتعجب ، وهي تستعيد في ذهنها تلك الرسالة التي عثرت عليها في الكرار كيف لم تلاحظ ما كان يجري أمام عينيها بوضوح

فقد كانت الأحداث كلها تجري أمام عينيها ، وتحت أنفها ، دون أن ترى أو تلاحظ شيئاً .

وقفز ذهنها بسرعة عبر المأساة ، لم يعد هناك ما يدعو الى التفكير فيها ، لقد وقعت المأساة ، وانتهى الأمر ، انتهى تماماً .. فلتتجنب التفكير في ذكرى الفزع . والوجه المتألم المسموم . وإجراءات التحقيق .. وأحزان جورج المطلة من عينيه الداميتين ، لتجتنب إيريس هذا كله الآن ، ولو الى حين ، لتعود بذاكرتها الى حادث عثورها على الرسالة الغامضة في الكرار ..

* * *

حدث هذا بعد مأساة روز ماري بستة أشهر تقريباً .

وكانت إيريس قد ظلت مقيمة مع زوج شقيقتها جورج بارتون بمنزل إلفاستون سكوير . وكان محامي أسرة مارل – وهو كهل مهذب – قد اجتمع بايريس عقب المأساة وأخبرها بأن ثروة العم بول بنيت قد آلت اليها بعد وفاة اختها ، طبقاً لنصوص وصيته ، وذكر لها أن من حقها التصرف في هذه الثروة الضخمة عند بلوغها الحادية والعشرين من عمرها ، أو عند زواجها وكان أهم ما يشغل بال إيريس يومذاك هو مكان إقامتها وقد أصبحت وحيدة في الحياة . وعرض جورج بارتون عليها الاستمرار في الاقامة معه بعد أن يستدعي عمتها مسز دريك – التي كانت تعاني الأزمات المالية بسبب مطالب ابنها المدلل – للاقامة معها حتى لا تلوك الألسنة سيرتها إذا أقامت وحدها في بيته . وقبلت إيريس – شاكرة – هذا العرض ، وجاءت العمة لوسيلا – مسز دريك – للاقامة معها والعناية بها وهكذا استقرت الأمور في منزل

إلفاستون سكوير .

وبعد ستة أشهر تقريباً ، عثرت إيريس على الرسالة الغامضة في حجرة الكرار .

وكانت حجرة الكرار في المنزل الكبير مخصصة لتخزين مختلف الاشياء القديمة والمهملات وحقائب الملابس غير المستعملة ، وكانت إيريس قد دخلت الحجرة آملة أن تعثر على صديرية من الصوف الثمين كانت أثيرة لديها بعد أن يئست من العثور عليها في انحاء المنزل . وفيما هي تبحث عن الصديرية بين اكداس الملابس الخلقة – غير المستعملة – الموضوعة في الحقائب الكبيرة ، إذ بدها تلمس شيئاً يشبه الورق في جيب أحد فساتين روز ماري الصوفية ، فلما تناولت الورقة ، تبينت أنها مسودة رسالة مكتوبة بخط يد روز ماري ، فبسطتها في رفق ، وراحت تقرأها .

« حبيبي ليونارد .. لا شك أنك غير جاد فيما قلت .. فأنت لا تستطيع ، لا تستطيع . لأننا نتبادل الحب . لأن كلا منا للآخر .. وأنت تعرف هذا كما اعرفه أنا .. فليس من المعقول أبداً أن نتبادل عبارات الوداع ببرود وهدوء ثم نستأنف الحياة كما كانت قبل الحب ، انت تعرف أن هذا في حكم المستحيل يا حبيبي ، مستحيل جداً ، فكل منا ملك للآخر ، الآن . والى الأبد . إنني لست امرأة تهتم بما يقول الناس . فالحب في نظري هو أعز وأسمى وأجمل شيء في الوجود ، ولسوف نمضي معاً ، نهرب من الناس ، ونعيش في سعادة حالمة ، سوف أجعلك أسعد إنسان في الدنيا . وقد قلت لي ذات مرة أن الحياة بدوني هباء في هباء ..

« اتذكر هذا يا حبيبي ليونارد ؟ أتذكر هذا وأنت تكتب الآن بكل هدوء تطلب قطع علاقتنا ، وانك تريد هذا لصالحي ولفائدتي . ولكنني لا أستطيع أن أعيش بدونك » حقاً ساشعر بالأسف من أجل

جورج ، فقد كان دائماً رفيقاً بي ، لطيفاً معي ، وأعتقد أنه سيقدر شعوري ويسير حتى بإحساسي .. فليس من المعقول أو المقبول أن يستمر الزوجان في حياتهما الزوجية إذا كان أحدهما لا يحب الآخر ..

« ولست أشك في أن الله خلقنا لنعيش معاً أنت وأنا .. إني واثقة من هذا . ولسوف نعيش في أتم سعادة .. ولكن يجب أن تتذرع بالشجاعة في مواجهة المجتمع ولسوف أصارح جورج بنفسي عن كل شيء في صراحة ووضوح .. ولكني لن أصارحه إلا بعد الاحتفال بعيد ميلادي

« وأنا موقنـة بأني على صواب فيما سأفعل يا حبيبي ليونارد .. فأنا لا أستطيع أن أعيش بدونك وأخشى أن تغضب مني لأني أطلت الكتابة إليك .. فقد كان يكفي أن أعبر لك عن حبي بكلمات قليلة .. حبي .. إني أحبك ، ولن أدعك تفلت من حبي مهما يكن الثمن .. أوه يا حبيبي ! »

* * *

وانتهت الرسالة عند هذا الحد .

ووقفت إيريس في مكانها من غرفة الكرار تحدق النظر اليهـا في دهشة وذهول .

ما أقل ما يعرف الانسان عن أخته !

إذن فقد كان لروزماري حبيب ؟ حبيب تكتب اليه رسائل غرام ملتهبة .. وتدبر الخطة للهرب معه !

ماذا حدث ؟! إن روزماري لم ترسل هذا الخطاب . فلماذا ؟ هل هي مسودة خطاب عادت أرسلته . أم أنها أرسلت خطاباً آخر .

ومن هو هذا الحبيب المجهول الذي أطلقت عليه إسم ليونارد أي « الفهد » وما أغرب الأسماء التي يختارها العشاق لبعضهم البعض !

من هو ؟ هل كان يبادلها الحب بمثله ؟ لا شك أنه كان يفعل . ألم تكن

روزماري باهرة الجمال ! ومع هذا ، وبناء على ما ورد في الخطاب ، فقد أراد أن يضع حداً لعلاقتهما . فلماذا ؟ هل أراد أن يفعل هـذا لصالحها ولفائدتها حقاً كما ذكر لها ! ولكن . أليس هذا ما يقوله كل رجل حين يريد أن يقطع علاقته بالمرأة التي تحبه ؟ ألا تعني هذه العبارة أنه لم يكن في الواقع يحبها كما تظن ، وأن علاقته بها لم تكن غير نزوة عابرة ! إن إيريس تشعر في أعماق نفسها أن هذا الحبيب المجهول ، أيا كان ، كان جاداً في رغبتـه لقطع كل صلة بينه وبين روزماري

ولكن تفكير روزماري كان يختلف عن تفكيره باختلاف قوة الحب بينهما . فبينما كان هو يريد الهرب منها ، كانت هي مصرة على الهرب معه !

وارتعدت إيريس .

كيف كان هذا كله يجري دون أن تدري به ؟ لا شك أنها كانت عمياء البصيرة فلم تلحظ على اختها أمارات هذا الحب العميق ، وإنما اعتقدت فقط أنها سعيدة مع زوجها جورج بارتون

ولكن . من هو هذا الحبيب ؟!

إن إيريس تعود بذهنها إلى الماضي .. تفكر .. وتتذكر . لقـد كانت روزماري محوطة دائماً بعدد كبير من المعجبين والأصدقاء الذين تتناول معهم الطعام في الخارج وتحضر في صحبة بعضهم الحفلات الساهرة والراقصة . لم يكن بينهم شخص معين تكثر معه الخروج دون الباقين . ولكن لا بد أن يكون هناك شخص معين . حبيب القلب .. والباقون مجرد أصدقاء عاديين للتمويه .. لاخفاء علاقتها الحقيقية بذلك الشخص المعين .

وقطبت إيريس جبينها وهي تحاول أن تتذكر علاقـة أختها السابقة بكل واحد من أصدقائها .. وأخيراً ترسب في ذهنها إسمان لشابين أيقنت أن أحدهما لا شك هو الحبيب المجهول لروزماري . فليفن فراداي ؟ آه . على الأرجح أن يكون ستيفن فراداي هو ذلك الحبيب ؟ ولكن .. مـاذا

أعجب روزماري في ستيفن ؟ إنه شاب ثقيل الظل متعجرف ، تجـاوز الخامسة والثلاثين من عمره .. حقاً يقال عنه إنـه ذكي ، وسياسي بارع ، وينتظره مستقبل مرموق ، وأنه ليس من المستبعد أن يصبح وزيراً بنفوذ أصهاره من أسرة كيدرمنستر العريقة .. بل ليس من المستبعد أن يصبح رئيساً للوزارة ذات يوم ، فهـل هذا المستقبل البراق اللامع هو الذي استهوى روزماري ؟! يقيناً أنها لم تكن تحب الرجل ـ لذاته ـ كل هـذا الحب العميق .. فهو في ذاته بارد ، متعجرف ، ولكن يقال إن زوجته تهيم بـه غراماً . وأنها تزوجته رغم إرادة أسرتها العريقة التي تراه مجرد إنسان عادي واسع الآمال . ولكن .. إذا كانت فتاة جميلة من أسرة عريقة قد أحبته وتزوجت منه برغم أنف الجميع ، فلماذا لا تجن به فتاة أو امرأة أخرى مثل روزماري ؟!

نعم . لا شك أنه ستيفن فراداي .

لأنه إذا لم يكن هو ، فلن يكون الحبيب المجهول غير صاحب الاسم الثاني آنتوني براون .

حقاً لقد كان أنتوني ـ عبداً لروزماري .. تحت أمرها دائماً .. وهو أيضاً جميل وسيم مرح لطيف المعشر .. ولكن غرامه بها كان واضحاً .. وكان في وضوحه سطحياً لا عمق فيه ولا ثبات .

ومع هذا فقد اختفى عقب مأساة روزماري .. فلم تره إيريس أو جورج مرة واحدة بعد المأساة . فلماذا ؟!

لقد سمعت أنه كثير الأسفار ، وكان يكثر الحديث عن البلاد التي شاهدها كالأرجنتين ، وكندا ، وأوغندا والولايات المتحدة ، وإن إيريس لتظن أنـه أمريكي أو كندي رغم سلامة نطقه للغة الانجليزية الصحيحة .. وإذا كان هو قد امتنع عن زيارتها بعد مأساة روزماري ، فهذا تصرف طبيعي منه .. فقد كانت روزماري صديقته . ولم يكن يحضر إلى المنزل إلا من أجلها . نعم

كان صديقها .. صديقها فقط .. إن ايريس لا تريد أن تفكر فيه على أنه حبيبها .. أبداً . إن مجرد هذا الخاطر يؤلمها .. يؤلمها جداً

ونظرت الى الرسالة في يدها ، وخطر لها أن تلقي بها .. أن تحرقهـا .. ولكنها امتنعت غريزياً عن إحراقها .

فقد تكون لهذه الرسالة أهمية كبرى ذات يوم .

وبسطتها برفق ، ثم طوتها ، وأودعتها علبة مصاغها الخـاصة ، وأغلقت عليها بالقفل ، فمن المحتمل ان تحتاج اليها ذات يوم ليعرف الجميع لماذا انتحرت روزماري .

* * *

والآن .. ماذا بعد الرسالة ؟!

هكذا سألت ايريس نفسها وهي تجوس بذهنهـا في ذكريات الماضي القريب .

لقد عرفت بعد اجتماعها أمس بجورج بارتون في غرفة مكتبه سر تلك الحالة التي طرأت عليه منذ أشهر .. حالة الذهول وشرود الذهن والتوتر العصبي والتصرفات الغامضة .

ولقد رأت أيضاً آنتوني براون بعد غيبته الطويلة عقب المـأساة .. ولعل ظهور آنتوني المفاجىء ، هو الأولى بالتفكير وهي تجوس خـلال الذكريات .

لقد التقت به بعد عثورها على رسالة الحب بأسبوع .

وإن إيريس لتتذكر هذا اللقاء المفاجىء في شيء من الانفعال العاطفي .

لقد ماتت روزماري في شهر نوفمبر . وبعد ستة أشهر .. أي في شهر مايو ، بدأت إيريس أول خطوة في الحياة الاجتماعية كفتاة بلغت الثـامنة عشرة من عمرها .. وقد بدأت خطواتها الاجتماعية الأولى في حـماية عمتهـا

مستر دريك .. فقبلت الدعوات لطعام الغداء ، ولحفلات الشاي ، والسهرات الراقصة .. ولكنها ، مع هذا ، لم تشعر بالبهجة التي كانت تتوقعها .. وقد حدث أن كانت تشعر بالملل في حفلة راقصة في أواخر شهر يونيه حين سمعت صوتاً وراءها يقول :

– إنها إيريس مارل .. أليس كذلك ؟

واستدارت بوجه مضطرم لترى أمامها أنتوني .. أنتوني براون بوسامته وخفة ظله .. وعاد يقول :

– لا أتوقع أن تتذكريني .. ولكن ..

– أوه .. ولكني أتذكرك .. حقاً ..

– عظيم .. كنت أخشى أن تنسيني .. فقد مضت فترة طويلة منذ رأيتك آخر مرة .

– نعم .. منذ حفلة عيد ميلاد روزماري التي ..

وتوقف بسرعة .. فقد كانت تتحدث بمرح دون أن تدري .. وانحسرت الدماء عن وجهها فاذا هو أبيض شديد الامتقاع .. وارتعدت شفتاها ، واتسعت عيناها من فرط الشعور بالخجل والارتباك والحرج .

فما كان يليق أن تتحدث بمرح عن حفلة عيد ميلاد أختها التي انتهت بوفاتها .

وأسرع أنتوني يقول :

– إنني آسف .. فما كان ينبغي أن أذكرك .

– حسناً .. حسناً ..

« إنها لا تريد أن تتذكر حفلة عيد ميلاد أختها التي انتهت بوفاتها .. لا تريد .. أبداً »

وعاد أنتوني يقول :

– إذا كنت قد غفرت لي ، فهل تسمحين بالرقص معي ؟!

فأومأت برأسها وانطلقت تراقصه وهي تشعر بمزيج من البهجة والقلق .. البهجة لمراقصته ، والقلق من ذكريات الماضي .. أليس هذا أنتوني براون.. صديق روزماري الحميم ؟ أليس من المحتمل أن يكون هو السبب المجهول الذي كتبت روزماري هذه الرسالة الملتهبة لترسلها اليه ؟ أليس في رشاقته ، وخفة حركاته ، وقوة عضلاته ، ما يتفق مع الاسم المستعار ليوبارد – الفهد – الذي أطلقته عليه روزماري ؟

وسألته فجأة في صوت حاد

– أين كنت خلال هذه الفترة الطويلة ؟!

فنظر اليها برهة في غير ابتسام وقال :

– كنت مسافراً .. لأعمال خاصة .

– ولماذا جئت ؟!

فابتسم قائلاً :

– لعلي جئت لأراك يا إيريس مارل .

وضمها إلى صدره ، وراح يرقص معها في رشاقة وحرارة ملأت نفسها بالبهجة والسعادة في تلك الحفلة .

ومنذ ذلك الحين أصبح أنتوني براون جزءاً من حياتها .. فقد كانت تراه مرة في كل أسبوع على الأقل

كانت تلقاه في الحديقة العامة .. هايدبارك .. وفي الحفلات الراقصة .. وفي المطاعم الفاخرة ، ولكنه لم يحاول ذات مرة أن يزورها في منزل الفاستون سكوير .. فلما لاحظت تجنبه زيارتها في المنزل ، دعته بنفسها للزيارة ، فاعتذر برفق ، ومن ثم أدركت أنه لا يريد أن يحضر إلى المنزل .. فلماذا ؟!

وللمرة الأولى تدخل جورج بارتون – الطيب القلب – في شئونها الخاصة حين سألها ذات يوم قائلاً :

— من هذا الشاب ، أنتوني براون ، الذي تلتقين به كثيراً في هذه الأيام ؟ ماذا تعرفين عنه ؟!

ونظرت ايريس في دهشة بالغة الى جورج ، ثم تمتمت قائلة :

— ماذا أعرف عنه ؟! عجباً ! ألم يكن من أصدقاء روزماري ؟

فطرف جورج بعينيه ، وقطب جبينه ثم قال بصوت ثقيل :

— نعم .. كان طبعاً ..

— أوه .. انني آسفة .. ما كان ينبغي أن أذكرك .

— لا .. لا .. اني لا أريد أن ينساها أحد .. ابداً .. لا تنسي أن اسمها على اسم الزهرة « روزماري » ومعناها .. الذكرى .. واني أرجو يا إيريس ألا تنسي أختك .. أبداً .

فكتمت أنفاسها ثم قالت :

— لن أنساها أبداً .

— ولكن هذا الشاب ، أنتوني براون .. لعل روزماري قد مالت اليه كصديق ، ولكني أعتقد أنها لم تكن تعرف عنه شيئاً .. يجب أن تكوني على حذر في علاقات الشبان بك .. فأنت الآن موفورة الثراء

فشعرت إيريس بنيران الغضب تشتعل في أعماق نفسها ، ومن ثم قالت :

— إن أنتوني ليس فقيراً . إنه واسع الثراء .. إنه يقيم في فندق الكلاريدج كلما جاء إلى لندن

— إنه فندق فاخر لا ينزل به إلا الأثرياء والكبراء حقاً .. ولكن .. هذا لا يمنع طبعاً من أن تكوني دائماً على حذر فليس هناك من يعرف الشيء الكثير عن هذا الشاب .

انه أمريكي .

— ربما ولكنه لا يأتي لزيارتك هنا . اليس كذلك ؟

— طبعاً .. كيف يأتي وأنت تشك في أمره وتحذرني منه ! لقد عرفت

الآن سر امتناعه عن زيارتي هنا .

— إنني فقط أريد ان احذرك من الوقوع في مخالب صيادي الثروات . فأريد في نفس الوقت ان تستمتعي بحياتك كما يحلو لك

— انني استمتع بحياتي فعلاً .. أؤكد لك .

— حسناً جداً .. إفعلي كل ما يحلو لك في حدود التقاليد الاجتماعية ، ولا تقيمي وزناً للمصروفات ، فان المال كثير .. أكثر مما تحتاجين .. أما من جهة أنتوني . فسوف أرجو عمتك لوسيلا أعني مسز دريك لكي تراقبه بعناية كلما التقيت به .

ولكن القدر شاء أن يتدخل عندئذ ويرسل الى مسز دريك ما يشغل تفكيرها ، ويثير القلق في نفسها ، ذلك أن ابنها المدلل ، قرة عينها ، أرسل اليها برقية يقول فيها :

« هل يمكن ارسال مائتي جنيه ؟. الحالة حرجة جداً .. مسألة موت أو حياة – فيكتور »

وبكت لوسيلا .. وقالت لجورج بارتون وإيريس :

— إن فكتور شريف في معاملتي دائماً .. انه لا يلجأ إليّ إلا في أوقات الشدة والحرج ، وانا اخشى ان يقتل نفسه يوماً .

فقال جورج :

— لا يمكن أن يقتل فكتور نفسه .

— انك لا تعرفه .. وانا أمه .. وأعرفه تماماً لأنه ابني .. انني لن اغفر لنفسي إذا لم أسعفه في الشدائد . سوف ابيع بعض الأسهم والسندات لأرسل اليه المبلغ .

— اسمعي يا لوسيلا .. سوف أتبين الحقيقة بارسال برقية الى احد عملائي هناك ، وسوف يخبرني بجلية الأمر ، وسوف اطلب من سكرتيرتي روث إرسال البرقية ، وغداً نعرف الحقيقة كلها

ووافقت لوسيلا ، وكذلك وافقت على ان يرسل جورج لابنها خمسين جنيها بدلاً من مائتين . وكانت إيريس تعلم انه ارسل المبلغ من ماله الخاص رغم تظاهره بانه دفع بعض أسهم لوسيلا .. وأعربت له عن اعجابها بكرمه ، فقال لها بيساطة :

– إن الأمر بسيط .. فليس فكتور الا الإبن الفاسد في الأسرة .. ولا مندوحة لنا من احتماله حتى يموت .

– ولكنك غير مكلف باحتماله .. انه ليس فرداً في اسرتك

– ان إسرة روزماري هي اسرتي

– انك شهم نبيل يا جورج ، ولكن .. ألم يكن من الأوفق ان ترسل هذا المبلغ من مالي ، فانا كما قلت لي موفورة الثراء .

فابتسم في بساطة وقال :

– لا أستطيع ان اقتطع من اموالك مثل هذه المبالغ إلا بعد ان تبلغي الواحدة والعشرين من العمر .. وعندما تبلغين هذه السن ، فيحسن بك الا ترسلي لفكتور شيئاً والا استمرأ الحال وراح يبتز الأموال منك بطريقة او باخرى ، وبهذه المناسبة اذا ارسل شخص مثل فكتور في طلب مائتي جنيه فتأكدي انه سيرضى بالحصول على عشرين او عشرة ، وبطبيعة الحال لن تستطيعي ان تمنعي امه من ان تبيع كل ممتلكاتها من أجله .. ولكن تأكدي أن امثال فكتور لا يقتلون انفسهم مهما تكن الظروف .

* * *

وهكذا شغلت العمة لوسيلا ابنها عن مراقبة انتوني براون أثناء خروجه مع ايريس .

حسناً .. وماذا بعد هذا ؟

ماذا عن حالة جورج المضطربة في الأشهر الأخيرة ؟!

ان إيريس تحاول ان تتذكر متى بدأ جورج يبدو في حالة اضطراب وارتباك وذهول وتوفز عصبي .. حقاً لقد كانت تعتريه نوبات من الحزن والانقباض عقب وفاة روزماري .. وكان يبدو كأنما كبر فجأة وازداد بطئاً في الحركة والتفكير .. وهذا امر طبيعي .. ولكن .. متى بدأت حالة الذهول والاضطراب تبدو عليه بشكل غير طبيعي ؟!

وقد لاحظت أنه – بعد حديثه معها عن انتوني براون – يحدق النظر اليها في شيء من الذهول والاضطراب والحيرة .. ثم تعود أخيراً على العودة من مكتب اعماله مبكراً في المساء ، ليغلق باب غرفته الخاصة على نفسه ، ويبقى جالساً في مكانه لا يكاد يعمل شيئاً .. فقد حدث أن دخلت عليه ذات مرة فوجدته جالساً شارد النظرات ، ذاهل التفكير .. وقد نظر اليها وهي تدخل وكأنه لا يراها .. وهكذا بدا لها كأنما هو يعاني من صدمة نفسية او عصبية ، فلما سألته عما به ، أجاب في اقتضاب « لا شيء »

ومرت الأيام على هذه الحال .. ثم بدأ يلقي أسئلة عجيبة شاذة على من حوله ، عندئذ ادركت ايريس ان حالته « غير طبيعية »

فقال لها ذات يوم :

– اسمعي يا ايريس .. ألم تكن روزماري تتحدث اليك كثيراً ؟

فنظرت اليه بدهشة وقالت :

– عجباً !! طبعاً يا جورج .. على الأقل .. حسناً عن اي شيء تسأل ؟

– هل حدثتك عن .. عن نفسها .. عواطفها .. اصدقائها .. عن أحوالها الخاصة وهل كانت سعيدة أو شقية .. وما إلى هذا ؟

خطر لايريس حينئذ ان جورج قد عرف – بطريقة ما – غرام روزماري بذلك الحبيب المجهول ، ومن ثم قالت في حذر :

– انها لم تكن تتحدث كثيراً .. كانت مشغولة دائماً بشئونها الخاصة

– وكنت انت صبية غريرة طبعاً . نعم .. لم يكن معقولاً أن تفضي

اليك بعواطفها الخاصة .. حسناً

وفي مرة أخرى سألها فجأة عن أعز صديقات روزماري ، فقالت له :

– جلوريا كنج .. ومسز آتويل .. ميلزي آتويل .. وجيان ريموند

– هل تعتقدين أنها كانت تفضي الى اية واحدة منهن بمشاعرها الخاصة؟

– لا أدري .. ولكن لماذا ؟ أية مشاعر تعني ؟

– ألم تذكر روزماري في وقت ما انها خائفة

– خائفة ؟!

– أعني هل كان لروزماري اعداء ؟

– اعداء بين معارفها من السيدات ؟

– لا .. اعداء حقيقيين .. أعداء كانوا يعملون للقضاء عليها

– أهـذا معقول ؟

وبعد يوم او يومين ، عاد يسألها عن علاقة روزمـــاري بآل فراداي ، قائلا :

– هل كان ستيفن فراداي وزوجته من الأصدقـــاء الخصوصيين لروزماري ؟

– لا أدري على وجه التحديد .. اعتقد فقط ان روزماري كانت تهتم في الأشهر السابقة على وفاتها بالشئون السياسية

– نعم بعد ان تقابلت مع آل فراداي في سويسرا .. اما قبل هذا فلم تهتم مطلقاً بالسياسة

– اعتقد ان ستيفن هو الذي أثار اهتمامها بالشئون السياسية

– وكيف كانت علاقة روزماري بزوجته ساندرا ؟!

– اظن انها كانت علاقة فاترة بعض الشيء .. فقد كانت روزمـــاري تضحك ساخرة من ساندرا قائلة إنها كالحصان المحشو بالسياسة

– وصمت جورج برهة قبل ان يسأل فجأة :

ألا والتي ترين انتوني براون كثيراً ؟

نعم ..

– لقد شاهد كثيراً من بلدان العالم .. ولا شك ان حديثه مثير وممتع .. فهل حدثك عن مشاهداته ؟

قليلا ..

– ألم يخبرك عن سبب رحلاته المتعددة إلى الخارج ؟

لا .. لا ..

– أهي رحلات تتعلق بأعماله الخاصة ؟

– لم يقل لي شيئاً ..

– ألم يخبرك بأن أعماله تتعلق بشئون التسليح الأوروبي ومصانع الذخيرة والطائرات ؟

– لا ..

– حسنا .. لا داعي لأن تذكري له أني سألتك عنه .. كل ما في الأمر أني علمت أنه كان ضيفاً على اللورد ديوز بري في الخريف الماضي .. واللورد ديوز بري هو رئيس مجلس إدارة اتحاد الصناعات الحربية .. وقـــد كانت روزماري كثيرة الاتصال بأنتوني براون .. أليس كذلك؟

– نعم .. أعتقد هذا

– ولكنها لم تكن تعرف عنه الشيء الكثير .. كان مجرد صديق عادي يخرج معها للحفلات

– نعم ..

– وأعترف اني دهشت حين أصرت على أن يكون بين المدعوين في حفلة عيد ميلادها .. لم أكن أعرف أن علاقتها به وطيدة إلى هذا الحد .

– إنه راقص بارع

– نعم .. نعم ..

وفجأة أخذت ذكريات ما حدث في تلك الليلة تمر بذهن إيريس رغماً عنها : المائدة المستديرة بمطعم الكمبريدج الفاخر .. الأضواء الخافتة الملونة .. الأزهار .. الموسيقى الراقصة بإيقاعها الرتيب .. الأشخاص السبعة الجالسون حول المائدة هي ، وأنتوني براون ، وروزماري ، وستيفن فاراداي ، وروث ليسنج ، سكرتيرة جورج ـ ثم جورج ، وعلى يمينه ليدي الكسندرا فاراداي بشعرها الشاحب المستقيم ، وأنفها الأقنى ، وصوتها الواضح الرنان ..

وكانت البهجة تشيع بينهن جميعاً .. أو هكذا خيل لكل من رآهم

وفي وسط الجميع كانت روزماري .. أوه .. لا .. لا يحسن أن تفكر في هذا .. بل يحسن أن تفكر في نفسها وهي جالسة بجانب أنتوني .. فقد كانت تلك أول مرة تراه وتجلس بجانبه ، أما قبل هذا ، فكان مجرد إسم .. شبحاً يقف في الردهة ليصحب روزماري إلى الخارج .. إلى سيارة التاكسي المنتظرة أمام الباب .

أنتوني ..

وأفاقت من ذكرياتها على صوت جورج وهو يكرر سؤاله قائلاً :

- من بواعث العجب أنه اختفى عقب المأساة .. ألم يخبرك اين ذهب ؟

- اظن انه ذهب إلى سيلان أو الهند

- ألم يخبرك في تلك الليلة عن عزمه على الرحيل ؟

- ولماذا يفعل ؟ ولماذا تثير ذكريات تلك الليلة المؤلمة ؟

فاضطرم وجهه بحمرة الارتباك وقال :

- لا .. لا .. إنني جد آسف .. حسناً .. أرجو منك أن تدعي أنتوني براون لتناول العشاء معنا ذات ليلة .. فاني اريد أن اتحدث اليه مرة أخرى ..

وسرت إيريس بهذا الموقف الجديد لجورج نحو انتوني .. لا شك انه قد

وافق أخيراً على صداقتها لهذا الشاب الجذاب ، وان يمهد له الطريق ، بهذه الدعوة ، ليتردد على البيت .. وقد قبل أنتوني الدعوة في تحفظ ، ثم اعتذر في آخر لحظة قائلاً إنه مسافر في مهمة عاجلة نحو الشمال

***

وفي ذات يوم من أواخر شهر يوليه ، فاجأ جورج كلاً من إيريس ومسز دريك - لوسيلا - بقوله إنه اشترى بيتاً في الريف .. بيتاً صغيراً أنيقاً لقضاء عطلات نهاية الأسبوع طول العام ، فلما سئل عن موقعه ، قال إنه بمقاطعة سسكس ، مركز مارلنجهام ، بلدة ليتل برايور .. وذكر أن المنزل حديقة واسعة ، أو مزرعة صغيرة ، مساحتها اثنا عشر فداناً .. وانه اشتراه في صفقة نادرة . وقالت مسز دريك في امتعاض :

- أعتقد أنه سيحتاج الى كثير من الترتيب والتنظيم وإعداد المفروشات اللازمة .

- لا .. لا .. لقد قامت روث بهذه المهمة في نجاح

وكانت إيريس ومسز دريك تعلمان أن روث ليست سكرتيرة جورج فحسب ، وإنما يده اليمنى في إدارة أعماله لما تمتاز به من كفاءة ومقدرة وبراعة في تصريف الأمور

وكانت روزماري تقول دائماً كلما واجهت مشكلة : اتركوا هذا الأمر لروث ، إنها رائعة .. وهي قادرة على معالجته ،

وهكذا كانت كل عقبة أو مشكلة تحل بأصابع روث ليسنج الناعمة ، وابتسامتها الآسرة ، وهدوء أعصابها المثير .. وكانت تدير مكتب جورج ، ويقال انها تدير جورج نفسه ، فكان هو يعتمد عليها في كل صغيرة وكبيرة ، وكانت هي تتفانى في العمل معه ، دون أمل في مغنم شخصي أو طمع

في فوائد ذاتية ..

وعاد جورج يقول عن المنزل :

– ان به ملعباً للتنس ، وآخر للجولف ، يبعد عن شاطىء البحر بأربعة عشر ميلا .. وعلى مقربة منه جيران معروفون لنا .. فمن الحكمة دائماً أن يقيم الإنسان بين جيران معروفين

فقالت إيريس في جفاء :

– أي جيران تعني ؟

– آل فراداي .. إنهم يقيمون على مسافة ميل ونصف فقط من المنزل

فنظرت إيريس اليه في دهشة وقد ادركت انه لم يشتر هذا المنزل الا لغرض في نفسه . لقد اشتراه ليكون قريبا من آل فراداي !.. فماذا يريد منها ؟! هل عرف بطريقة ما ان ستيفن فراداي هو الحبيب المجهول لروزماري ؟! وإذا كان قد عرف فماذا يريد أن يفعل ؟ ولماذا يلجأ الى هذه الوسيلة الباهظة التكاليف للاتصال بالزوجين ؟

وقضى الجميع ، ايريس ومسز دريك وجورج وروث والخدم ، بقية شهر يوليه ، وشهر أغسطس ، في منزل لتيل برايور .. وكانت الحياة فيه ، بالنسبة لإيريس ، مملة مثيرة للضيق والانقباض رغم مباريات التنس ، وحفلات الغداء أو العشاء التي كان يدعى اليها ستيفن فراداي وزوجته .. وكانت زوجته – ساندرا – مهذبة في علاقتها بهم كجيران .. إذ قامت بمهمة تعريف بقية أهل البلدة من الأعيان بهم ، وإسداء النصائح لهم عن المعيشة في الريف والعناية بالجياد . ولكنها ظلت ، وراء قناع ابتسامتها المهذبة ، غامضة كأبي الهول ، لا يعرف أحد حقيقة ما يدور بنفسها .

وانصرم شهر أغسطس ، ثم شهر سبتمبر ، وقرر جورج العودة الى لندن عند حلول شهر اكتوبر وتنهدت ايريس في ارتياح وهي تأمل ان يسترد جورج حالته الطبيعية بعد عودته الى لندن .

ولكنها ، في الليلة الماضية ، استيقظت على نقر خفيف على باب غرفتها ، فأضاءت المصباح الكهربائي ، ونظرت في الساعة ، فاذا هي الواحدة بعد منتصف الليل ، وكانت قد أوت الى فراشها في منتصف الحادية عشرة ، وارتدت معطفها المنزلي ، وفتحت الباب .. ورأت جورج بارتون واقفا مرتديا بذلته ، مربد الوجه ، لاهث الأنفاس ، يقول في صوت مرتعد :

– تعالي يا ايريس الى غرفة مكتبي .. فاني اريد ان أتحدث اليك .. الى أي انسان

فأطاعت رغبته وهي لا تزال مترنحة ببقايا النوم

وأغلق جورج باب غرفة المكتب من الداخل ، وأشار لها بالجلوس في الجانب المواجه له من المكتب ، وقدم لها علبة السجاير ، واشعل لنفسه واحدة ، ثم قال بوجه شاحب شديد الاضطراب :

– انني لم أعد قادراً على احتمال العبء .. السر وحدي .. وعليك أن تساعديني .. أن تخبريني .. هل هذا ما حدث .. هل يمكن أن يحدث هذا ؟

– انني لا أكاد افهم شيئا يا جورج

فتناول من أحد ادراج مكتبه ورقتين .. رسالتين .. عليهما كلمات مكتوبة بآلة كاتبة ، وقال وهو يقدمها الى ايريس :

– اقرئي هاتين الرسالتين

ونظرت ايريس في دهشة الى الرسالة الأولى حيث قرأت بوضوح ما يلي :

« أنت تعتقد ان زوجتك ماتت منتحرة .. لا .. انها لم تنتحر .. انها ماتت .. مقتولة »

وكانت الرسالة الثانية كما يلي :

« ان زوجتك لم تنتحر .. وانما قتلت »

وظلت ايريس تحدق النظر في كلمات الرسالتين دون ان تتفوه بحرف .

فقال جورج :

– استلمت هاتين الرسالتين منذ ثلاثة أشهر .. وظننت في أول الأمر انها دعابة سمجة من شخص تافه .. ولكني شرعت افكر لماذا تقتل روزماري نفسها ؟

فقالت ايريس بصوت آلي :

– نتيجة للانقباض النفسي الشديد الذي يعقب الاصابة بأنفلونزا حادة

– ولكن آلاف الناس يعانون من مثل هذا الانقباض بعد الانفلونزا دون أن يفكروا مجرد تفكير في الانتحار

– لعلها كانت غير سعيدة !

– نعم .. ربما .. ولكني لا اعتقد ابداً ان روزماري تقتل نفسها لأنها غير سعيدة في حياتها معي ، من المحتمل ان تهدد بالانتحار لتظفر بما تريد . أما ان تنتحر فعلا ، فلا

– ولكن هذا ما حدث فعلا يا جورج .. ألم يجدوا بقية السم في حقيبة يدها ؟

– نعم .. هذا ما جعل الجميع يعتقدون انها انتحرت .. ولكني منذ استلمت هاتين الرسالتين من المرسل المجهول ، بدأت افكر في الأمر جديا .. وكلما أمعنت في التفكير ، ازددت يقينا بأن روزماري لم تقتل نفسها .. وهذا هو سبب حالتي الشاذة خلال الشهور الثلاثة الأخيرة ، وسبب اسئلتي لك عن أعداء روزماري .. وعن اي شيء ينم على شعورها بالخوف من أحد .. فلا شك ان هناك باعثا على القتل .. لا شك انها قتلت لسبب ما

– عجبا يا جورج ! ما هذا الذي تقول؟

– قد أبدو لك غريبا .. ولكني واثق ان في مأساة روزماري سراً يجب أن اهتدي اليه وأريد منك ان تساعديني .. يجب ان تفكري .. ان تتذكري .. حاولي ان تتذكري كل ما حدث في تلك الليلة ، لأنها اذا كانت قتلت ، فان قاتلها لا بد وأن يكون واحداً ممن كانوا حول المائدة ؟! أليس

كذلك ؟

نعم . يجب أن تتذكر . إنها لن تستطيع أن تتجنب التفكير في ذلك المنظر الرهيب بعد الآن ، يجب أن تتذكر كل شيء . الموسيقى والأنوار التي خفتت .. فاصل الكباريه .. عودة الأنوار الى السطوع .. روزماري ملقاة بنصفها الأعلى فوق المائدة وقد ازرق وجهها والتوت ملامحها من فرط آلام السم .

وارتعدت ايريس بعنف .. انها الآن تشعر بالخوف . الخوف الرهيب .. وإن عليها أن تفكر .. ان تعود للذكرى . فان « روزماري » معناها في عالم الزهور .. الذكرى .

لقد أصبح النسيان مستحيلا ..

الفصل الثاني

روث ليسنج

وكانت روث ليسنج تذكر ايضا زوجة رئيسها « روزماري »
كانت تذكرها في فترات أثناء عملها في مكتب زوجها : « جورج بارتون » .

وكانت تكرهها كثيراً .. كثيراً جداً .. ولم تستطع ان تحدد مبلغ كراهيتها لها الا في صباح ذلك اليوم من شهر نوفمبر الماضي ، عندما كانت تتحدث الى فكتور دريك ابن لوسيلا دريك

كانت مقابلتها لفكتور هي البداية لتلك السلسلة من الأفكار المسمومة نحو روزماري . أما قبل هذا ، فكانت تشعر فقط بكراهيتها لزوجة رئيسها .. بمجرد شعور في عقلها الباطن

كانت روث متفانية في خدمة جورج منذ أول يوم عملت فيه معه .. وكانت يومذاك فتاة هادئة الأعصاب ، في الثالثة والعشرين من عمرها ، تدرك بذكائها ان جورج يحتاج الى فتاة بارعة مثلها لتدير اعماله . وتولت فعلا ادارة أعماله .. وأنقذته اكثر من مرة من الإفلاس والانهيار الاقتصادي . لقد وفرت عليه

وقته ، وماله ، ومتاعبه . لقد اختارت له أصدقاءه ، ووجهته الى الهوايات المناسبة ، وحالت بينه وبين ركوب المغامرات المالية الفاشلة ، ولم يحدث في أية لحظة أن نظر اليها جورج الا على انها سكرتيرة ممتازة ، قديرة ، مخلصة ، مطيعة لأوامره . ولكنه كان يشعر بالبهجة والسرور لمنظرها .. فهي دائما انيقة تعرف كيف تختار ملابسها بعناية ، وكيف تبدو دائما في أكمل صحة دون ان تسرف في تجميل وجهها أو تلفت الأنظار الى جمالها الخاص

وهكذا أصبحت روث في نظر جورج ، النموذج للسكرتيرة القديرة ، الحسنة المظهر

وكان يحب فيها استقامتها ، وتجنبها للضعف الأنثوي ، وابتعادهـا عن اثارة عواطفه نحوها كامرأة .. فكانت أحاديثها معه لا تتجاوز حدود العمل فقط .

ولم تحاول قط أن تتدخل في شؤونه الخاصة ، وهكذا لم يكن لها أي شأن في زواجه من روز ماري ، لقد راحت تساعده في إعداد البيت للزواج رغم ، في اعماق نفسها ، كارهة لهذا الزواج .. !

واستغرقت في ادارة أعمال رئيسها – بعد زواجه – وازدادت تفانيـاً وإخلاصاً في خدمته حتى لفتت أنظار روز ماري اليها وجعلتها تدرك انها – روث – الساعد الأيمن لزوجها ومديرة اعماله التي لا يستطيع الاستغناء عنها

وكان جورج ، وروز ماري ، وايريس يناديها باسمها المجرد – روث ، في غير كلفة ، ويدعونها لتشاركهم طعام الغداء بمنزل إلفاستون سكوير .. وقد بلغت روث الآن التاسعة والعشرين – والهـا لتبدو تماماً كما كانت في الثالثة والعشرين

وكانت تعرف أن جورج سيعود الى الاعتماد عليها ، وتقدير خدماتها بعد أن يفيق من نشوة الشهور الأولى للزواج . ولكنه بعد هذه الأشهر الأولى ، بدا شارد الفكر ، زائغ النظرات ، مضطرب المشاعر .

ولم تحاول هي أن تسأله عن سبب حالته هذه ، وشكر لها هو في نفسه – لباقتها وتحاشيها التدخل في شؤونه الخاصة .

. . .

وفي صباح ذلك اليوم من شهر نوفمبر ، أي قبل اسبوع من الاحتفال بعيد ميلاد روز ماري ، حدثها جورج عن فكتور دريك الابن المدلل الفاسد لمستر دريك ، وقال لها :

– إن هذا الشاب ، ابن عمة زوجتي ، هو الابن الفاسد في الأسرة .. لقد دللته أمه وأفسدت أخلاقه وأخشى أن تضيع الباقي من ممتلكاتها القليلة لتحقق مطالبه المالية التي لا تنقطع ، وقد بدأ حياته الشريرة بتزوير شيك وهو طالب في جامعة أكسفورد ، وقد تكتم المسؤولون أمره ثم أبعدوه الى خارج البلاد حيث فشل في كل عمل قام به .

وبعد أن حدثها عن بعض المشروعات الفاشلة التي قـــام بها فكتور في الخارج ، قال :

– وقد عاد أخيراً الى لندن ، وتبينت أنه يثير القلق في نفس زوجتي ، إنها لم تره منذ كانت تلميذة في المدرسة ، ولكنـــه شاب لعين أفـــاق لم يكف عن إرسال الخطابات اليها في طلب المال .. وأنا لن أقف مكتوف اليدين إزاء هذا الاستغلال المشين لثروة زوجتي . ومن ثم اتفقت على مقابلتـــه اليوم في تـــمام الساعة الثانية عشرة ظهراً في الفندق الذي ينزل به ، وأريد منك أن تقابليه نيابة عني ، فأنا لم أره من قبل ، ولا أريد أن أراه ، وكذلك لا أريـــد أن تراه روز ماري ، ولهذا أعتقد أن في الامكان معالجة أمره عن طريق شخص ثالث .. مثلك

– حسناً ، وماذا تريد مني أن أفعل ؟

– إقنعيه بقبول مائة جنيه وتذكرة سفر الى بيونس ايريس على البـــاخرة التي ستبحر غداً

– ما اسمه .. الكامل .؟

– فكتور دريك ، هذه تذكرة السفر ، إنها الباخرة سان كريستوبال التي ستبحر غداً من ميناء تالبري

ووضعت روث التذكرة في حقيبة يدها ووعدت بمقابلة فكتـــور في فندق روبرت بشارع روسل سكوير في تمام الساعة الثانية عشرة

ووضع جورج يده على كتف روث ، لأول مرة في حياته ، وقال في حرارة وإخلاص :

– روث ، يا عزيزتي ، إنني لا أدري ماذا كنت أفعل بدونك ، إنك يدي اليمنى ، جزء من نفسي

واضطرم وجهها بحمرة السرور ، ثم قالت ضاحكة :

– إنك ستدللني بهذه العبارات الجميلة

– أؤكد لك إني صادق فيما أقول ، انك جزء من نفسي ، ومن أعمالي .. والحياة بدونك مستحيلة

وانصرفت روث عنه وهي تشعر بالبهجة والرضى لهذه الكلمات المشجعة ، وظل شعورها بالبهجة يملأ عليها نفسها وهي في طريقها لمقابلة فكتور دريك ، وكانت قد أعدت نفسها لسماع سلسلة من القصص التي سيسردها عليهـــا ويبرر بها سوء حظه وتوالي فشل مشروعاته . وكانت هي خبيرة بهذا النوع من الشبان الفاشلين الذين يمتون بظهرهم ، ويبرعون في تبرير « خيبة أملهم » بالأحاديث اللبقة المثيرة ، وقد صح ظنها حين رأت فكتور ، فقد وجدته واقفاً بجانب النافذة في غرفتـــه من الفندق ، أنيقاً ، معتنيـــاً بمظهره ، وسيماً ، جذاباً ، يتحدث بلهجة مسرحية الخلابة ، قال لها :

ـ آه ، مبعوثة جورج بارتون ، يا لها من مفاجأة سارة ، مدهشة

وعرضت عليه شروط جورج في لهجة عملية باردة ، وتقبل هو هذه الشروط في حماسة وشكر ، قائلا :

ـ مائة جنيه وتذكرة سفر الى بيونس ايرس ، ياله من كرم ، مسكين جورج ، انني كنت على استعداد لقبول ستين جنيها فقط ، ولكن لا تخبريه بالشروط ؟! ألا أتسبب في قلق ابنة خالي روز ماري .؟ حسنا ، أكدي له إنني لن أكون مثار قلق لها ، أبداً .. انني موافق على جميع الشروط بدون قيد .. من الذي سيودعني على ظهر السفينة ؟ أنت ؟! مدهش .. عظيم جداً ، هذا شرف لا أستحقه ، فما كنت أحلم يوما أن تودعني فتاة جميلة مثلك

ثم صمت برهة ونظر اليها بعينيه السوداوين بالمرح والجاذبية ، ثم قال :

ـ هل تشتغلين مع جورج منذ فترة طويلة يامس ليسنج ؟!

ـ ست سنوات

ـ وهو لا يعرف ماذا يمكن أن يفعل بدونك ؟ نعم . إنني أعرف كل شيء عنك يا مس ليسنج ، أعرف مقدرتك ، وبراعتك ، وتفانيك في خدمته

فقالت روث في حدة :

ـ من أين تعرف ؟!

ـ اخبرتني روز ماري

ـ روز ماري .. ولكن ...

ـ حسنا .. ان أضايق روز ماري بعد اليوم ، لقد كانت دائما كريمة معي عطوفا عليّ ، وقد ظفرت منها بمائة جنيه أخرى ...

ـ أنت ؟!.

وضحك فكتور عاليا ، ولم يسع روث إلا أن تضحك أيضا ثم تقول :

ـ ما كان يليق أن تفعل هذا يا مستر دريك

ـ ما ذنبي وقد خلقت هكذا ، هذه هي أسهل طريقة للحصول على المال

من الاقارب الاثرياء ، برقية بسيطة تحمل تهديداً أو تلميحا بالانتحار .. ثم يأتي المال مع الرد !

ـ ألا تخجل من نفسك ؟!

ـ إنني غير راض عن نفسي أبداً ، إنني شرير جداً يا مس ليسنج ، وأحب ان تتأكدي من هذه الحقيقة !.. انني لا أستطيع أن أخدعك كما أخدع غيرك .. فإنك ذكية بارعة .. وأعتقد أنك لا تشعرين بالإشفاق أو الرثاء لأحد .

ـ إنني أحتقر الرثاء ، احتقر الضعف والضعفاء

ـ ومن قال انني ضعيف .. ؟! إنك مخطئة في هذا الظن . انني شرير .. ربما .. ولكنني لست ضعيفا ، فأنا استمتع بحياتي تماما ، استمتع بها كما أريد ، لقد اختبرت الحياة ورأيت الكثير من صورها ، وقمت بالكثير من الاعمال المختلفة .. اشتغلت ممثلا ، وأمين مخزن ، وجرسونا ، وحمالا في الميناء ، وعاملا في سيرك ، وبحاراً في سفن شراعية ، ووقاداً في سفن تجارية ، ومديراً للدعاية في انتخابات رئاسة الجمهورية بإحدى جمهوريات أمريكا الجنوبية ، ودخلت السجن لأسباب سياسية ، شيئان فقط لم أعملها في حياتي . لم أحاول يوما أن أقوم بعمل كما ينبغي . ولم أدفع قرشا لنفقات السفر من مكان الى مكان

ونظر اليها ضاحكا ، وكان المنتظر أن تشعر بالاشمئزاز والتقزز منه .. ولكن طريقته في الحديث ، ولهجته المرحة ، وبساطته ، جعلتها تدرك أن له قوة الشيطان في جعل الأشياء الشريرة تبدو جميلة أمام الناس ، هذا عدا جاذبيته الشخصية وجمال مظهره وعاد يقول لها :

ـ لا داعي لأن تنظري اليّ هكذا يا روث .. فأنت لست مبرأة تماما من كل عيب ، وأعتقد أن عيبك الاساسي هو النجاح .. فأنت من النوع الذي ينتهي دائما بالزواج من الرئيس ! وهذا ما كان يجب أن تفعلي مع جورج ..

لم يكن لجورج أبداً أن يتزوج روز ماري ، بل كان الواجب أن يتزوج منك أنت ، وليس من شك في انك أصلح فتاة للزواج منه .

– ألا ترى أنك تجاوزت حدك ؟!

– إن روز ماري غبية حمقاء .. هكذا كانت دائماً ، إنها جميلة كالزهرة ، غبية كالأرنب ، إنها من نوع الحسناوات اللاتي يشبن ويأسرن الرجال بجمالهن ولكن دون أن يستطعن الاحتفاظ بهم طويلاً ، أما أنت فانك مختلفين ، يعلم الله ان الذي يحبك لا يستطيع أن يتحرر من حبك أبداً ، ولا يمكن أن يستغني عنه يوما

وعندئذ قالت له بحرارة وإخلاص مفاجيء :

– ولكنه لم .. يحبني

– أتعنين جورج ؟ لا تغالطي نفسك يا روث .. تأكدي أنه أدرك الحقيقة الآن ، فلو حدث شيء لروزماري ، فانه سيتزوج منك فوراً

وقالت روث لنفسها « نعم .. هذه هي بداية تلك السلسلة من الأفكار المسمومة عن روزماري »

وأردف فكتور قائلاً وهو يرقبها بعناية :

– وأعتقد أنك تعرفين هذه الحقيقة كما أعرفها أنا

وعادت تفكر لنفسها « يد جورج على كتفي .. صوته المتليء بالحرارة والاخلاص وهو يقول إنني أصبحت جزءاً من نفسه .. نعم .. نعم .. انه يحبني ، ولن يستطيع الاستغناء عني »

وقال فكتور في صوت رقيق :

– ينبغي أن تكون ثقتك في نفسك أكثر من هذا يا عزيزتي .. فان في مقدورك أن تضمي جورج في جيبك . أما روزماري فانها مجرد وجه جميل وعقل أجوف .

وقالت روث لنفسها « نعم .. هذه هي الحقيقة .. لو لم تكن روزماري

في طريقي ، لتزوجت من جورج ، ولجعلته أسعد إنسان في الوجود »

وشعرت فجأة بنوبة من الغضب والحقد تشتعل في أعماق نفسها .. وراح فكتور دريك يرقبها في استمتاع .. فهو يحب دائماً أن يضع بذور الأفكار في العقول ويتركها لتنمو وتزدهر ، أو ، في هذه الحالة ، يكشف الستار عن الأفكار الكامنة في العقل الباطن !

نعم .. هكذا بدأت تلك السلسلة من الأفكار المسمومة التي راحت تغز في ذهن روث ، وتشعل المزيد من نار الكراهية والحقد في قلبها نحو روزماري .

ولكنها كانت تعرف كيف تخفي مشاعرها الخاصة وراء تلك البسمة الجذابة التي لا تفارق شفتيها .

وبعد تلك المقابلة مع فكتور دريك مباشرة ، اتصلت روزماري بها تليفونياً في مكتب زوجها وقالت لها : « هل جورج موجود بالمكتب يا روث »

– كلا .. هل أستطيع أن أؤدي لك أية خدمة ريثما يحضر ؟

– نعم يا روث .. إن ذلك الكولونيل الأحمق ريس أرسل برقية يعتذر فيها عن الحضور إلى حفلة عيد ميلادي .. وأريد أن أسأل جورج عن الشخص الذي سيحل محل الكولونيل في الحفلة .. فنحن في حاجة إلى رجل لأننا الآن أربع سيدات : إيريس وأنا ومسز فراداي .. ومن هي الرابعة ؟

– أنا يا مسز بارتون .. ألم يقل لك المستر جورج إنه دعاني للحفلة ؟.

– أوه .. حقاً .. لقد نسيت !.

وضحكت روزماري في مرح ، ولكنها لم تر ، وهي في الجانب الآخر من أسلاك التليفون ، وجه روث الذي نم عن الكراهية والحقد في أبشع صورة .

إنها دعيت إلى الحفلة مجاملة لجورج .. أليس كذلك ؟! ولهذا نسيتها روزماري تماماً .. إن روث أدركت في تلك اللحظة إلى أي حد تكره روزماري ..

لقد كرهتها لأنها قوية .. وجميلة .. ومشهورة .. وحمقاء .. وليست مرغمة على العمل الشاق في إدارة الأعمال من أجل الرزق .. إن كل شيء في الحياة يقدم اليها على صحفة من فضة .. المال .. والجمال والحب .. والزوج الوفي .. والبطالة .. والفراغ .

وقالت روث ليسنج بصوت كالفحيح لآلة التليفون :

« أتمنى لو أراها .. ميتة »

وأفزعها صوتها .. ورنين كلماتها .. إنها لم تكن هكذا من قبل .. لم تكن عنيفة في انفعالاتها .. وفي عواطفها .. وإنما هادئة الأعصاب دائماً ، متمالكة لزمام نفسها عادة

وقالت لنفسها « ماذا دهاني ؟. ماذا جرى لي ؟ »

لقد كرهت روزماري في أصيل ذلك اليوم .. ولا تزال تكرهها حتى بعد انقضاء عام على وفاتها .

ربما ، في يوم ما ، تستطيع ان تنسى روزماري .. أما الآن .. فلا

* * *

وفي صباح اليوم التالي ، أعرب لها جورج عن عرفانه بالجميل حين أخبرته أنها ودعت بنفسها فكتور دريك على ظهر الباخرة سان كريستابول المبحرة الى بيونس ايرس

– اذن فقد مضى .. ذهب أخيراً

– نعم ، ملت المبلغ قبيل رفع السلم عن الباخرة بلحظات .. وقد لوح لي بيده وأنا واقفة على رصيف الميناء قائلاً انه سيشرب بضعة كؤوس نخب جورج بارتون

– انه شاب مستهتر .. ما رأيك عنه يا روث ؟

فقالت بصوت بارد كما أرادت أن يكون :

– لا شيء ، من نوع الرجال الضعفاء

ولم ير جورج شيئاً ، ولم يلحظ شيئاً ، وأحست هي كأنما تريد أن تصيح باكية « لماذا أرسلتني اليه ؟ ألم تكن تعرف أي شر سيبذره في أعماق نفسي ؟. الم تلحظ انني تغيرت كثيراً عما كنت عليه امس حتى لكأني شخص آخر ؟. ألا ترى أني أصبحت شديدة الخطر الآن !. الا ترى الى أي حد أثرت هذه المقابلة في نفسي ؟ »

وبدلاً من هذا كله ، قالت بلهجتها العملية الإدارية :

– والآن ، ما رأيك في الرسالة الواردة من سان بدرو ؟

انها الآن السكرتيرة الحازمة القديرة

وبعد خمسة أيام .. كانت حفلة عيد ميلاد روزماري

وكان يوماً في الصباح عادياً ، زيارة للحلاق ، ارتداء الثوب الجديد ، تجميل الوجه الى حد ما بفندق الزينة ، وجهها في المرآة يبدو كأنه ليس وجهها تماماً فهو يطالعها بأمارات تنم عن المرارة ، والعزم ، والقسوة

وأخيراً .. منظر روزماري ووجهها الأزرق المسموم وهي تختلج في اللحظات الأخيرة من عمرها !. انها .. بعد أحد عشر شهراً ، تشعر بخوف مفاجيء وهي تفكر في روزماري .

الفصل الثالث

أنتوني براون

كان آنتوني براون يقطب جبينه للأفق البعيد وهو يفكر في روزماري ..
لا شك انه كان أحمق حين اتصل بها .. ولكنه - كرجل له بعض العذر .. فقد كانت جميلة ترتاح العين لمنظرها .. بل انه لم يستطع أن يرفع عينيه عنها حين رآها أول مرة .. كانت جميلة كدمية .. عذبة كزهرة فواحة العبير .

لقد أحبها من أول نظرة حباً عميقاً جارفاً .. وبذل كل ما يستطيع من جهد في تلك السهرة ليعثر على أحد يقدمه اليها .. وكان يشعر في أعماق نفسه بأن الواجب يحتم عليه بذل هذا الجهد للعناية بالعمل المكلف به .

ولكن جمال روزماري كان أقوى من كل شعور بالواجب .. انه لم يهمل عمله تماماً بطبيعة الحال ، ولكنه كرس جزءاً من وقته لهذه الحسناء التي وقع في غرامها ، وكان الأجدر به أن يكرس كل وقته للمهمة التي كلف بها .. انه الآن يعجب لنفسه كيف بلغت حماقته هذا الحد .. انه يتذكر

كيف تبخر نصف اعجابه بها عندما عرف انها رأنصت الى حديثها لأول مرة .. وتبخر مع نصف الاعجاب ، كل الحب .. انه لم يكن حبا بالمعنى الصحيح .. وانما كان نزوة عابرة أثارتها فتنة روزماري الظاهرية .. ولم تتجاوز علاقته بها غير قضاء بضعة أشهر ممتعة في صحبتها - لا أكثر

حسنا .. لقد تمتع بهذه الأشهر .. وكذلك استمتعت روزماري بها ، لقد كانت ترقص تماماً ، ولتصبح دائماً موضع أنظار الجميع في كل مكان يحضره معها

كانت جميلة تماماً في صحتها .. فاذا شرعت في الحديث ضاع ثلاثة أرباع الجمال ، وقد كان أنتوني يحمد الله لأنه لم يكن زوجاً لها .. والا كيف كان يعيش معها بعد أن يزول أثر الجمال في النفس بطول العشرة ، ولا يبقى الا الحماقة والغباء وتفاهة التفكير ، وضحالة الشعور ؟

انها احدى النساء اللاتي يردن من الأزواج أن يقولوا لهن في كل ساعة ، في كل يوم ، كم هي جميلة .. وكم هو يحبها

انه يفكر في هذا كله الآن ولكنه كان مستغرقاً في حبها الى أذنيه يومذاك

كان ينتظر اشارة منها .. ويتصل بها تليفونيـــاً ، ويرقص معها ! ويقبلها في التاكسي ، ويرتكب كل أنواع الحماقات من أجلها .. وبقي على هذا الحال حتى ذلك اليوم الذي فوجىء فيه بتلك الحادثة التي جرت بينهما .

قالت له وهي تحدق النظر فيه بعينيها الجميلتين :

- أنتوني براون .. انه اسم جميل !

- نعم .. اعتقد ان جده آنتوني براون الذي كان تشريفاتيا في قصر الملك هنري الثامن

ـ حفيده الانجليزي .. ام الإيطالي ؟

فضحك قائلاً :

ـ أتقولين هذا بسبب لون بشرتي السمراء .. ان أمي اسبانية الأصل

ـ اذن هذا هو السر

ـ أي سر تعنين

ـ السر الذي تعرفه يا مستر آنتوني براون

ـ يبدو أنك معجبة جداً باسمي

ـ انه على كل حال أفضل من اسمك الأول آنتوني موريللي

وأبى أن يصدق اذنيه برهة .. ان هذا مستحيل .. مستحيل

وأمسك بذراعها فجأة في عنف جعلها تجفل ثم قال :

ـ من أين عرفت هذا الاسم ؟

فضحكت في مرح وقالت

ـ أخبرني به شخص يعرفك .

ـ من هو .. ان هذا أمر خطير يا روزماري .. يجب أن أعرف

فارسلت اليه نظرة جانبية ماكرة وقالت :

ـ ابن عمي .. الشاب الفاسد .. فكتور دريك

ـ انني لم التق ابداً بشخص يحمل هذا الاسم

ـ لعله كان منتحلاً اسماً آخر ايام اتصاله بك لكي يحافظ على سمعة الأسرة .

فقال آنتوني ببطء :

ـ آه .. فهمت ، كان يعرفني اذن في السجن

ـ نعم .. كنت اعنف فكتور على سوء أخلاقه واقول له انه وصمة عار في جبين الأسرة فابتسم في خبث وقال لي : « وأنت يا عزيزتي ؟ هل تحسنين اختيار اصدقائك .. لقد رأيتك ترقصين شاباً من ارباب السوابق .. وقد

عرفت انه صديق لك يزعم ان اسمه آنتوني براون بينما اسمه الحقيقي آنتوني موريللي »

فقال آنتوني وهو يبتسم :

ـ اذن يجب ان أجدد صداقتي بزميلي السابق في السجن .. فان زملاء السجون يجب ان يكونوا يداً واحدة

ـ فات الوقت .. لقد رحلناه امس الى امريكا الجنوبية

فتنهد آنتوني في عمق وقال :

ـ آه .. اذن فأنت الآن فقط التي تعرف اسمي الحقيقي ؟

ـ اطمئن .. انني لن أفشي هذا السر لأحد

فقال في صوت جاد صارم :

اسمعي .. ان معرفتك لإسمي الحقيقي امر جد خطير .. هل تريدين ان تشوهي جمال وجهك بالسكاكين والأحماض القاتلة ؟ ان هناك بعض الناس الذين لا يترددون في تشويه وجه فتاة جميلة مثلك اذا لزم الأمر .. وهناك شيء اسمه القتل .. انه لا يحدث في الكتب وأفلام السينما فقط .. وانما في الحياة العادية ايضاً

ـ هل تهددني يا آنتوني ؟

ـ انني احذرك

وقال لنفسه : « ترى هل ستدرك معنى هذا التحذير ؟ هل ستكتم السر حقاً .. انها فتاة حمقاء غبية رغم جمالها .. لا يستطيع أحد الاعتماد عليها في امر خطير كهذا .. حسناً .. يجب ان أضاعف من تحذيري لها حتى افعم نفسها بالخوف »

ورفع طبقة صوته قائلاً لها

ـ يجب ان تنسي اسم آنتوني موريللي .. هل تفهمين ما أقول !

– ولكنني غير مهتمة بالأمر كله يا آنتوني .. انني فتاة عصرية ، واعتقد ان التعرف بمجرم خطير مثلك ينطوي على مغامرة ممتعة .. لا داعي لأن تشعر بالخجل من اسمك

يا لها من حمقاء بليدة التفكير ! انه ينظر اليها في برود ويعجب من نفسه كيف ظن يوما أنه احبها ! انه عاش كل حياته لا يطيق الأغبياء ، حتى ولو كانت وجوههم جميلة كل الجمال

وعاد يقول في صوت حاد :

– انسي كل شيء عن آنتوني موريلاي .. اني اعني ما أقول .. لا أريد ان تلفظي بهذا الاسم مرة اخرى

وقرر في أعماق نفسه أن يتخلص من صداقتها في اسرع وقت .. فهي ، كما تبين له ، فتاة لا يمكن الاعتماد عليها مطلقا .. وليس من شك في انها ستفشي هذا السر في اي وقت تريد دون ان تهتم بتحذيره أو تهديده

ورغم انها كانت تبتسم له في عذوبة ودلال حينئذ ، فقد ظل مقطب الجبين ، متجهم الوجه ، مما جعلها تقول له في رقة :

– لا تكن عنيفا معي هكذا يا توني .. الا تصحبني الى الحفلة الراقصة في قصر آل جارو في الأسبوع القادم

– انني لن أكون هنا .. سأكون في الخارج

– ولكنك لن تسافر قبل أن تحضر حفلة عيد ميلادي ، لن أسمح لك بالتخلي عني في اللحظة الأخيرة .. انني معتمـــدة عليك .. لا ترفض .. أرجوك .. لقد كنت بائسة محزونة أثناء اصابتي بتلك الأنفلونزا الرهيبـة .. فلا ترد شفائي بالاعتذار عن الحضور

وكاد ان يرفض .. ان يخرج من حياتها نهائيا .. ولكنـه لمح من خـلال الباب المفتوح ايريس وهي تهبط السلم .. ايريس بقوامها الرشيق ، وصباهـا

الناضر ، ووجهها العذب البريء ، وشعرها الفاحم ، وعينيها الرماديتين .. ايريس التي تقل عن روزمـاري جمالاً ، ولكنها تفوقها بمراحل في قـوة الشخصية وكمال الخلق ، لقد كره نفسه في تلك اللحظة لأنه خضع لجـمـال روزماري الظاهري

وغير مجرى تفكيره في الحال

في ثوان معدودات اتخذ قراراً حاسما غير مجرى حياته من أساسها

الفصل الرابع

ستيفن فراداي

وكان ستيفن فراداي يفكر ايضا في روزماري

يفكر فيها وهو جد مندهش لما تثيره الذكريات من خواطر وأفكار في نفسه وذهنه ، لقد تعود ان يطرد هذه الذكرى من عقله كلما ومضت فيه .. ولكنه كان يعجز أحيانا عن طرد صورتها من مخيلته .. فقد كانت روزماري عنيدة في موتها ، كما كانت عنيدة في حبها أثناء حياتها

وكان دائما يرتعد كلما تذكر ذلك المنظر الأخير لها في المطعم الفاخر .. انه ، يريد على الأقل ، أن يبعد ذكرى هذا المنظر عن ذهنه بأي ثمن .. لينتقل بالذكريات الى ما وراء هذا المنظر .. الى ايام ان كانت روزماري تنبض بالحياة .. تتألق بالجاذبية والابتسام ، تتنفس بالعطر كأزهار الربيع ..

ولكن .. اشد ما كان احمق غبيا في علاقته بها !

انه ليعجب من نفسه .. ليعجب أشد العجب ! كيف حدث هذا ؟ انه لا يستطيع ان يعرف السبب ، وكأنما شخصيته كانت منقسمة يومذاك الى

قسمين .. قسم متزن يحسن تقدير الامور ، وآخر احمق أهوج مستهتر يستهويه الجمال .. حتى لو كان هذا الجمال مجرد طلاء خارجي لعقل أجوف فارغ ..

لقد كان منذ طفولته لا يهتم بشيء الا تحقيق أمله في أن يصبح يوما رجلا عظيما من القادة والزعماء في وطنه .. كان هذا الهدف يتألق أمام عينيه في نومه ويقظته .. وكان يدرك بل يؤمن أن الإرادة .. الإرادة وحدها يمكن أن تحقق للانسان أي أمل يخطر بباله

ومنذ صباه وهو ينمي إرادته ويقويها وينفخ فيها ، فقد كان يعرف أنه لن يتلقى أية مساعدة من أحد لتحقيق آماله فقد كانت أمه من الطبقة المتوسطة ، وكان أبوه بناء صغيراً قليل الدخل ، ولكن نجاح ستيفن الصغير الباهر في مرحلتي الدراسة الابتدائية والثانوية ، شجع أباه على إلحاقه بجامعة اكسفورد رغم ضآلة موارده ، وتخرج ستيفن من جامعة اكسفورد شابا في الثانية والعشرين يحمل إجازة الحقوق بدرجة الامتياز وحوله هالة من إعجاب الأساتذة والزملاء . فقد كان معروفاً أثناء دراسته الجامعية بالذكاء ، والبلاغة ، والقدرة على الكتابة ، والبراعة في التعبير عن افكاره بأوجز وأفصح عبارة

وعرف كيف يوطد علاقته بمجموعة من الاصدقاء النافعين

وكان يعرف أن السياسة هي أقصر طريق لتحقيق آماله وأهدافه .. فانغمر فيها ، وظل يرتقي من الصفوف الأخيرة في حزب الاحرار حتى وصل الى صف المرشحين لعضوية البرلمان ، ثم استطاع بذكائه ولباقته أن ينضم الى حزب المحافظين في الوقت المناسب الذي كان الحزب يطعم فيه صفوفه بالدم الجديد ، من السياسيين الشبان ذوي المواهب الفذة .. وهكذا استطاع أن يدخل البرلمان ، وأن يصبح عضو بمجلس العموم

ولكن أضواء الشهرة والدعاية لم تلبث أن انطفأت بعد المعركة الانتخابية

وإذا سبق فيجد نفسه مجرد عضو برلماني مغمور بين مئات من الأعضاء.

فماذا يفعل حتى يلفت الانظار والاسماع إليه

يجب أن يعتمد على أساس من النفوذ والسلطان

بالزوج من أسرة كبيرة لها نفوذها السياسي الضخم

وبدأ يبحث عن عروس من أسرة كبيرة ، واسعة النفوذ

وفي أثناء البحث ، دعي الى حفلة ساهرة في قصر آل كيدرمنستر ، وكان يعرف أن لهذه الاسرة نفوذاً ضخماً في المحيط السياسي ، وأهم من هذا كله ، كان يعرف أن للورد والليدي كيدرمنستر خمس بنات ، تزوجت منهم ثلاث ، وبقيت اثنتان .

وفي أثناء الحفلة ، عرف من إحدى المدعوات أن الابنة الوسطى « الكسندرا » هي إحدى الابنتين الباقيتين بدون زواج ، وأن الأمل في زواجها من شخصية مرموقة عريقة الأصل يكاد يكون معدوماً

فهي لم تكن ذات جمال باهر ، رغم قوة شخصيتها ، واتزان تفكيرها

وتعرف عليها بلباقة أثناء الحفلة ، متظاهراً بأنه لا يعرف أنها ابنة اللورد، وإنما هي مجرد إحدى المدعوات

وراقصها ، وأعرب لها ، بلباقة أيضاً ، عن إعجابه الشديد بها

وبعد أيام من الحفلة ، راح يتحين الفرص لمقابلتها خارج القصر وهو جد حريص على التظاهر بأن المقابلة حدثت مصادفة

فقد التقى بها ، خارج القصر ، وهي تتمشى مع كلبها الصغير ، فتوقف وهتف بسرور بالغ :

– ما أسعد حظي ! لقد كنت أتساءل دائماً ، هل سأراك مرة أخرى

واضطرم وجهها بحمرة الخجل والسرور ، وانحنى هو على الكلب وراح يربت رأسه قائلا :

– ما أجمله .. ترى ما اسمه ؟

– ما كناقيش

– اسم اسكتلاندي خالص

وسارا معاً وهو يتظاهر بالارتباك إذ يقول :

– إنني لم اخبرك باسمي أثناء الحفلة ، إنني ستيفن فراداي .. عضو مجلس العموم .

وردت هي قائلة وحمرة الخجل تملو وجهها :

– وأنا .. الكسندرا مابل

وتظاهر بالدهشة البالغة وهو يتمتم بارتباك :

– أوه .. أنت الليدي الكسندرا .. مابل ..!! يا إلهي .. ما أشد حماقتي وأنا أظنك إحدى المدعوات في تلك الحفلة

فقالت ببساطة ورقة :

– كان يجب أن أخبرك بالحقيقة في ذلك الحين

– بل كان يجب أعرف بنفسي .. ترى ماذا قلت عني !!

– ومن أين لك أن تعرف ..!! أرجوك يا مستر فراداي .. لا داعي لأن تضطرب .. فالأمر بسيط .. هلم نمضي الى تمثال السربنتاين .

وراح يلتقي بها بعد ذلك في مناسبات عديدة .. وشرع يحدثها عن آماله السياسية ، ثم أيقن من أحاديثها في مختلف الموضوعات السياسية والاجتماعية أنها تتمتع بالذكاء الوافر ، والثقافة وسعة الأفق في التفكير ، والقدرة على مواجهة الأحداث بثبات

وكانت الخطوة الثانية عندما طلبت من والديها أن يدعواه مرة أخرى الى حفلة ساهرة في القصر ، حيث قدمته إليهما بطريقة جعلتهما يشعران أن هذا هو فتى أحلامها .

وقال اللورد كيدمنستر وهو يتحدث عنه لزوجته :

– انه شاب لامع ، ينتظره مستقبل باهر .. لا أعرف شيئاً عن أهله .

ولكن المؤكد أنه سيصنع لنفسه إسماً ضخماً في سياسة البلاد

وبعد شهرين ، قرر ستيفن أن يغامر ، ويفاتح ساندرا بذات قلبه ، فقال لها وهما جالسان في الحديقة والكلب الصغير عند أقدامها :

– ساندرا (اسم التدليل لألكسندرا) .. أنت تعرفين .. تعرفين أني أحببتك من النظرة الأولى ، وأن حبي ظل يزداد ويقوى حتى لم أعد أطيق الصبر .. إني أريد أن تشرفيني وتقبلي الزواج بي .. وما كنت اجرؤ على هذا الطلب لولا يقيني التام بأني سأصبح في يوم ما جديراً بك .. أؤكد لك أنك لن تخجلي من اسمي يوماً ؛ ولن تندمي على زواجك بي أبداً

– اني لا أخجل الآن من معرفتي بك

– إذن فأنت تبادلينني الحب !

ألا تعرف حتى الآن !!

– إني أعرف .. ولكنني لم أكن واثقاً .. آه .. أقسم لك انني أحببتك في تلك الليلة الأولى التي تعرفت بها عليك

– وأنا أيضاً

* * *

وتم الزواج رغم كل المحاولات التي بذلتها الأسرة الكبيرة مع ساندرا لكي تنتظر حتى تتزوج من شاب يحمل لقباً ضخماً كأزواج أخواتها .. ولكنها أصرت على الزواج منه ، وإلا فإنها لن تتزوج أبداً .

ووافق والداها أخيراً إذ كانا يعرفان أنها اذا أصرت على شيء ، فلن تتزحزح عنه مهما يكن السبب .

وعاش الزوجان السعيدان بضعة أسابيع في قصر جميل صغير ورثته ساندرا عن جدتها لأمها ، في الريف ، وتحقق لستيفن كل ما كان يتوقعه ، فإذا ساندرا

خير زوجة ، وخير معين له في حياته السياسية .. لقد ادرك أن الحظ ساقه اخيراً فقدم اليه زوجة لا تقل عنه خبرة بالشؤون السياسية والاجتماعية ، وتكاد تفوقه ذكاء وحزماً وقدرة على التعبير عن مشاعرها وآرائها ، هذا فضلاً عن نفوذ أسرتها الواسع الذي كان يذلل له كل عقبة في طريق المستقبل اللامع

وكثيراً ما كان يجلس الى المائدة أمامها وينظر اليها بقلب خافق بالاعجاب والسعادة ، والشعور بالنصر ، كان شديد الاعجاب بذكائها وثقافتها ، وحسن ذوقها ، كما لا يقل إعجاباً بملامح وجهها المتناسقة ، وبشرتها الناعمة ، وعينيها الواسعتين وجبينها المرتفع ، حقاً انها ليست باهرة الجمال .. ولكنها باهرة الشخصية .. تماماً كجواد السباق الأصيل الكريم الذي أحسنت رعايته وتدريبه والعناية به .

وبهذا الشعور العميق بالرضى والغبطة والانتصار ، سافر معها لقضاء اسبوعين في سان موريتز بسويسرا .

وهناك ، في اول يوم ، ولأول مرة وقعت انظاره على روز ماري في بهو الفندق ..

ماذا حدث في تلك اللحظة ؟ انه لم يدر .. لم يعرف على وجه التحديد .. وإنما تذكر كلمات قصيدة كان يلقيها بطريقة ساخرة على مسامع سيدة ذات يوم .. قصيدة تصف شعور العاشق حين « يصاب » من اول نظرة .. حين يجد نفسه فجأة في دوامة من الحب العنيف الثائر الذي لا يدري من اين اقتحم اسوار قلبه .

لقد شعر ستيفن في تلك اللحظات بذلك الحب العجيب السريع الذي لا يليق إلا لفتى في دور المراهقة .

كان يعتقد في نفسه دائماً انه من نوع الرجال الذين لا يعرفون الحب إلا انه لون من الغزل او المغامرات العاطفية السريعة او النزوات العابرة

واذا سئل : هل تحب زوجتك ؟ لقال مؤكداً انه يحبها ، ولكنه ما كان يفكر في الزواج بها لو كانت - مثلاً - ابنة رجل فقير مغمور !

الحب عنده نزوة عابرة

والزواج صفقة رابحة تمهد له الطريق نحو المستقبل

اذن كيف يخفق قلبه بهذا الحب المفاجىء المريع لامرأة جميلة يراها لأول مرة ؟

انه لم يعرف يومذاك ، ولم يستطع ان يعرف ابداً .

ولكن . حمداً لله . لقد منح القدرة على اخفاء مشاعره الحقيقية عن اقرب الناس اليه . . . وهكذا لم يعرف احد قط ، حقيقة شعوره نحو روز ماري في تلك اللحظة وفيما بعدها .

وغادرت روز ماري وزوجها جورج بارتون سان موريتز الى انجلترا قبل فراداي وزوجته بأسبوع . . ولم يستطع فراداي ان يبقى طويلاً في سان موريتز ، ووافقت ساندرا معه على العودة الى لندن ، ما دام يضيق بالإقامة في سويسرا .

* * *

وبعد اسبوعين من عودته الى لندن ، اصبح عشيقاً لروز ماري

ومرت فترة ، ستة اشهر ، من العواطف العنيفة . دوامة من الحب القوي الذي يبلغ حد الخبال . . ستة اشهر كان ستيفن يذهب خلالها الى عمله كالمعتاد ، ويزور اهل دائرته بانتظام ، ويلقي اسئلته واستجواباته في مجلس العموم ، ويخطب في اجتماعات الحزب ، ويتبادل الحديث في السياسة مع ساندرا ، ولكنه في خضم هذا كله لم يكن يفكر الا . في روز ماري .

كانا يلتقيان سراً في شقة صغيرة . . خاصة . . وكان يعيش معها في فترات

الحب ، كأنه في حلم . حلم عاطفي مثير لا يمت الى الواقع بسبب

ثم جاءت اليقظة بعد الحلم

وخيل اليه ان هذه اليقظة فاجأته على غير انتظار .

كأنما كان سائراً في نفق مظلم ، ثم خرج فجأة الى النور

كان امس عاشقاً ولهاناً تملأ روز ماري عليه حياته ، وتفكيره ، وعواطفه وإذا هو اليوم ستيفن فراداي العاقل المتزن الرزين الذي يفكر في مستقبله ، ويقرر أن يضع حداً لعلاقته هذه الخطيرة . . نعم . . إنها خطيرة جداً . فماذا يحدث مثلاً لو أن زوجته « ساندرا » علمت بالأمر ؟!

واختلس ستيفن نظرة الى وجه زوجته الجالسة في الجهة المقابلة من المائدة . حمداً لله . . إنها لا تعرف شيئاً . . لا تشك في شيء . . ومع ذلك كانت اعتذاراته عن تأخره في خارج البيت تبدو واهية جداً . . ولو كان متزوجاً من سيدة أخرى غير ساندرا للعب الفأر في « عبها » . ولكن ساندرا ، والحمدلله ، ليست من هذا النوع .

وتنهد في عمق . . لقد كانت روز ماري ، حقاً ، شديدة الاستهتار ، وإنه لمن دواعي العجب أن يظل زوجها غافلاً عن خيانتها له كل هذه الشهور . لا شك لأنه واحد من هؤلاء الأزواج الحمقى الغافلين الذين يكبرون زوجاتهم بعدد كبير من السنين .

كم كانت جميلة ، فاتنة ، روز ماري !!

ولكن . لا . . يجب أن يضع حداً لعلاقته بها . . يجب ألا يدع هذا الحب ليدمر كل ما بناه في طريق المستقبل ، يجب أن يبتعد عن لندن الى حين حتى تهدأ العاطفة في قلبيهما .

واقترح على زوجته ساندرا أن يقضيا اسبوعين في مزرعة نيرمساوث . . ووافقت على اقتراحه فوراً كعادتها . فقد كانت هكذا دائماً ، تحقق له كل

ما يطلبه منها

وبدت الحياة في نيوهافن رقيقة هادئة مع ساندرا ، كلها سلام ونقاء وطهر . .

وشعر كأنه مريض تجاوز حد الخطر ، وبدأ يسترد صحته

وقطب جبينه بعنف حين سلمه الخادم رسالة باسمه ، وهو جالس على مائدة الإفطار مع ساندرا في منزل المزرعة

كانت الرسالة من روز ماري ، بخط يدها ، ولم يكن يخشى أن تطلع عليها ساندرا أو تسأل عن مرسلها ما لم يخبرها بنفسه .

فهي أنموذج للخلق الكريم ، والتربية القويمة ، والأصل الرفيع

ومع هذا كله ، فمن الخطر الشديد أن تكتب روز ماري اليه بخط يدها ، فمن يدري . . إن الانسان لا يستطيع دائماً أن يثق في أمانة الخدم

ومضى بالرسالة الى مكتبه الخاص ، وفضها في عنف شديد ، فإذا هي صفحات عديدة من الحب الملتهب العنيف .

وراحت نشوة الحب تتسلل اليه مرة أخرى وهو يقرأ ، إنه يبتسم وهي تدعوه ليوبارد الحبيب . لقد أطلقت عليه هذا الاسم عندما اشترى لها ثوباً مرقطاً أعجبت به كل الاعجاب . إنها تقول له في الخطاب ، كيف طاوعك قلبك يا حبيبي على أن تبتعد عني هذه الايام . . بل هذه اللحظات . . ألا تشعر بأني لا أطيق البعد عنك لحظة واحدة ،

كلام فارغ ، ولكنه كلام لذيذ . . يملأ صفحات بعد صفحات . . ولكن كان ينبغي أن تكون أشد حذراً ، فان ساندرا ليست من نوع النساء اللاتي يقبلن هذا الوضع المهين ، فلو أنها قرأت هذا الخطاب ، أو علمت بما فيه من أحد الخدم ، يا للهول ، يا للفضيحة ، يا للمستقبل الضائع !!

وانطلق بسيارته الى مكتب البريد الذي يبعد عن المزرعة بثمانية أميال ، واتصل تليفونياً بروز ماري وقال لها .

روز ماري ، أوه . . حذار أن تكتبي إليّ خطاباً آخر .

– ستيفن ! يا حبيبي ، ما أسعدني وأنا اسمع صوتك

– كوني على حذر . . فقد يسمعك أحد

– ليسمعني الناس جميعاً ، لتسمعني الدنيا كلها . . اني أكاد أموت شوقاً اليك ، ألا تشعر بمثل هذا الشوق يا حبيبي ؟

– طبعاً ، طبعاً . . ولكن . . أرجو منك ، ألا ترسلي خطابات أخرى

– هل أعجبك خطابي ، هل أشعرك كأنك معي ، اني أريد أن ابقى بجانبك يا حبيبي في كل لحظة ألا تشعر بهذا أيضاً؟

– نعم . . نعم . . ولكن لا ينبغي أن يقال هذا في التليفون

ماذا دهاك يا ستيفن . . ما هذا الخوف ؟

إنني أخشى أن يسمعك أحد ، إني أريد المحافظة على سمعتك

.. لست أهتم بما يحدث لي ، وانت تعرف هذا!

– ولكنني أهتم يا حبيبتي

– متى ستعود ؟

يوم الثلاثاء

– وستلتقي في المسكن الخاص يوم الاربعاء ؟!

– نـ . . نعم

– إنني لا أطيق الانتظار يا حبيبي ، الا تستطيع أن تختلق عذراً وتأتي اليوم . . انك تستطيع يا ستيفن . . يمكنك أن تعتذر بالشؤون السياسة أو بأي شيء .

– هذا مستحيل

– إنني لا أصدق أنك مشوق إليّ نصف شوقي اليك

– أؤكد لك أنني أكثر شوقاً اليك

ثم وضع السماعة وهو يشعر بالتعب والارهاق

يجب أن يلتزم الحذر الشديد فيما بعد .. يجب أن يقلل من زياراته معها للمسكن الخاص .

ولما بدأ يتجنبها بعد ذلك ، ثارت عليه ، فحاول أن يعتذر بمشاغله السياسية فصاحت غاضبة .

– اللعنة على السياسة كلها ، إنني لا أهتم إلا بالحب

وعبثاً حاول أن يبين لها حقيقة الموقف ، إنها لم تكن تهتم بطامعه ، وآماله ، وأحلامه ، إنها فقط تريد أن تسمعه وهو يردد على اذنيها كلمات الحب ، ولا شيء غير الحب

– قل لي أحبك يا حبيبي . قل لي مرة أخرى إنك تحبني حقاً ، بكل نبضة من قلبك

وفي مرة أخرى أفزعته بقولها :

– لماذا لا نرحل الى مكان بعيد .. الى جنوب فرنسا .. حيث نلتقي هناك ، ونعيش معاً فترة سعيدة ، دون أن يرانا أحد من معارفنا

فلما بين لها أن هذا أمر مستحيل ، وأنه من المحتمل جداً أن يراه أحد معارفه أو زملائه في المدرسة ، قالت :

– وماذا يهم لو رآنا احد ، إنني شخصياً لن اهتم

فازداد شعوره بالفزع وقال بسرعة

– ماذا تعنين.؟!

فأرسلت اليه تلك النظرة الباسمة الجذابة التي كانت فيما مضى تذيب قلبه ، ولكنها أصبحت أخيراً تثير القلق والضيق في نفسه ، ثم قالت :

– ليونارد يا حبيبي . إنني افكر احياناً في ان نضع حداً لهذا الاستخفاء في الحب . لهذه المقابلات السرية الخاطفة .. يجب ان نعلن حبنا للجميع .. يجب ان نعيش معاً ، الى الأبد ، إن جورج لن يرفض تطليقي إذا اردت .. وكذلك لن تعترض ساندرا على الانفصال عنك . فإن كبرياءها تمنعها من الحياة

مع رجل لا يحبها ، وعندئذ يمكننا ان نتزوج

– اهكذا ، بكل بساطة ، تحطم مستقبله .. وتقضي على آماله ، وتدمر كل ما بناه في حياته ؟

– انني لن اسمح لك يا حبيبتي بأن تفعلي شيئاً من هذا القبيل !

– لماذا ؟ انني لن اهتم بأقوال الناس .. إنني اريد السعادة في الحياة

– ولكنني اهتم .. اهتم جداً .. إن حياتي كلها متوقفة على تقدير الرأي العام لي:

– إن الحب يا ليونارد اهم من الرأي العام .. اهم شيء في الحياة .. إنه الحياة نفسها ، انني موفورة المال، ولن تحتاج الى ان تسعى في سبيل الرزق ، ابداً .. لسوف نرحل معاً الى جميع انحاء الدنيا ، الى جزيرة زاهرة خضراء في المحيط الهادي .. تصور هذا يا حبيبي ، تصور حياتنا معاً في جزيرة حالمة تقبل امواج المحيط اطرافها ، وتبتسم الزهور العاطرة في انحائها ، وتظلقها سماء صافية الأديم ، مشرقة دائماً بالنور

وابتسم لنفسه ساخراً .. جزيرة حالمة حقاً ؟ يا لها من فكرة حمقاء .. أي نوع من الرجال تظنه هذه الغبية .. أفاق شريد ؟

وقرر في تلك اللحظة أن يقطع علاقته بها نهائياً .. بأي ثمن !

فاذا لم يفعل ، فسوف يفقد كل شيء ، سيفقد ساندرا ، سيفقد نفوذ أسرتها الضخم ، سيتعرض لفضيحة تزلزل كل ما بناه

ولكن المهم كله .. أنه سيفقد ساندرا .

وأدرك فجأة ، أنه يحبها .. يحب ساندرا ، يحبها هذا الحب العميق القوي المؤسس على التفاهم المشترك ، والاعجاب المتبادل ، والتعاون للوصول إلى هدف واحد .

إنه لا يستطيع أن يفقد ساندرا .. زوجته ، وصديقته ، ومساعدته ، وشريكة حياته .. وحبيبته الحقيقية

لا .. لا يستطيع أن يفقدها ، مهما يكن الثمن !

ومن ثم عليه أن ينتزع نفسه من هذه الشبكة الخطيرة بأية وسيلة ممكنة عليه أن يجعل روزماري تنصت اليه ، وتقتنع تمــاما بوجهة نظره عن وجوب قطع كل علاقة بينهما قبل فوات الأوان .

ولكن .. هل يمكن هذا ؟ إن روزماري والمنطق ضدان مختلفان !

– لنفرض أنه صارحها بالحقيقة ، صارحها بأنه يحب زوجته رغم كل ما حدث ، لا .. إنها بكل بساطة لن تصدقه ، فهي حمقاء شديدة التعلق به .. وهذا أسوأ ما في الأمر كله

واستبد به غضب شديد ، كيف يحق السماء يستطيع أن يقنعهـا ! كيف يغلق فمها ! لا شيء إلا « جرعة من السم » .. هكذا فكر بمرارة

* * *

وقرر ستيفن في تلك اللحظة أن ينقذ نفسه من هذا المأزق بأي ثمن

ولكنه كان في حاجة إلى الوقت .. الى متسع من الوقت ليفكر ويدبر .. ويضع خطة الانقاذ ، إن روزماري في دور النقاهة من أنفلونزا حادة ، ولقد أرسل لها بدافع المجاملة فقط باقة من الأزهار ، وفي الأسبوع التالي سيحضر مع زوجته حفلة عيد ميلادها بمطعم اللوكسمبرج الفاخر .. وقد قالت هي له : « إنني لن أفعل شيئاً الا بعد الانتهاء من حفلة عيد ميلادي ، فلا يليق أن أفاجىء جورج المسكين بطلب الطلاق وهو يستعد لهذه الحفلة » .

لنفرض أنه صارحها بلهجة عنيفة أنه لم يعد يحبها ، وأنه يريد الخلاص منها فماذا يحدث .. ماذا يكون موقفها ؟ أكبر الظن .. بل يقيناً .. أنها قد تفقد زمام أعصابها وتقيم الدنيا وتقعدها مع جورج ، وربمـــا أسرعت إلى ساندرا باكية قائلة بصوت كله الحيرة والعجب : « يزعم ستيفن أنه لم يعد يحبني .. ولكنني أعرف أنه كاذب .. انه يريد فقط ، أو يحاول فقط ، أن يتظاهر

بالوفاء لك .. ليظل معك .. ولكنني أؤمن بانك ستوافقينني على أنه ما دام اثنان يتبادلان الحب ، فيجب أن تخلي أمامهما الطريق . وهذا مـــا حفزني للحضور اليك لكي تنحي ستيفن حريته » .

هذا هو ما يحتمل أن ينساب من عقلية فتاة حمقاء مثل روزمـــاري على مسامع سيدة جليلة مهذبة مثل ساندرا .. فماذا يكون رد ساندرا .. لسوف ترد عليه في كبرياء وتحفظ قائلة :

– إنني لن أعارض أبداً في تحريره من قيد الزواج .

وإذا حاول أن يعتذر لها أو يقسم بأنه لم يعد يحب روزماري ، فانها لن تصدقه ، وكيف تصدقه إذا أبرزت روزماري لها هذه الرسائل الغرامية التي كتبها بحماقته وبخط يده !

إذن يجب أن يفكر في شيء آخر .. في وسيلة أخرى يمنع بها روزماري من إثارة فضيحة في حياته .. وإنــه « لمن دواعي الأسف » – هكذا فكر لنفسه – « ان عصر آل بورجيا قد انقضى » .

فان كأساً من الشمبانيا المسمومة كفيل بأن يغلق فم روزماري إلى الأبد

نعم .. هكذا كان يفكر : سيانيد البوتاسيوم في كأس شرابها .. سيانيد البوتاسيوم في حقيبة يدها .. انقباض نفسي بعد الأنفلونزا

وعبر المائدة .. التقت عيناه بعيني زوجته ساندرا

لقد مضى عام تقريباً على كل هذا .. وهو لا يستطيع أن ينسى

الفصل الخامس

الكسندرا فراداي

وكذلك لم تستطع ساندرا فراداي[1] أن تنسى روزماري

لقد كانت تفكر فيها في هذه اللحظة نفسها .. تفكر في جسدها الملقى على المائدة المستديرة بالمطعم .. وفي وجهها الأزرق المسموم الذي كان يختلج بالألم الرهيب قبل أن تهمد حركاتها

ورفعت ساندرا عينها وهي تتذكر كيف تنهدت يومذاك في عمق وارتياح وإذا نظراتها تلتقي بنظرات زوجها

ترى هل رأى في عينيها يومذاك الحقيقة ؟. هل أدرك مبلغ ما كان يجيش في صدرها من حقد وكراهية لروزماري ؟! حتى وهي جثة هامدة ؟!

لقد مضى عام .. ولكن الذكريات لا تزال حية كأن كل شيء حدث بالأمس القريب . روزماري ؟ إنها الزهرة التي تعني « الذكرى » .. فما

(١) اسم التدليل لألكسندرا فراداي .

أصدق هذا وأرهبه ! فلا فائدة من موت شخص إذا ظلت ذكراه حية في الأذهان والنفوس .. وهذا ما فعلته روزماري في ذهن ساندرا ، وفي ذهن ستيفن .. حية الذكرى دائماً

لو كسمبرج .. هذا المكان البغيض ، بطعامه الفاخر ، وموسيقاه الحالمة ، وأناقته المدهشة ، وجوه المترف .. مكان لا يستطيع الانسان أن يتحاشاه .. فإن الناس دائماً يحتفلون به في حفلاتهم

لقد حاولت أن تنسى .. ولكن الأقدار تأبى عليها النسيان .. وها هو ذا جورج بارتون [illegible] بيتاً ومزرعة صغيرة على بعد ميل ونصف ميل من مزرعة فيرهافن .. حيث تقيم مع زوجها في الوقت الحاضر

عجيب حقاً أن يشتري جورج هذا البيت والمزرعة القريبة منهم .. فإن جورج بارتون رجل غريب الأطوار .. ليس من نوع [illegible] الذين يحب الانسان أن يكونوا بجانبه ، وإن وجوده في ليتل برايور قد أفسد عليها جو الوداعة والسلام في فيرهافن .. فقد كانت فيرهافن حتى هذا الصيف بمثابة الهدوء ، والراحة والدعة .. المكان الذي يهيء لها السعادة في الحياة مع ستيفن ، هذا إذا أتيحت لها السعادة يوماً

زمت ساندرا شفتيها .. نعم .. كان من الممكن جداً أن يكونا أسعد زوجين في الوجود ، ولكن روزماري اقتحمت حياتهما ، وحطمت هذا البناء الجميل من الثقة والتفاهم والحب الذي كانت هي وستيفن يقيمانه جزءاً جزءاً . لقد ظلت تخفي حقيقة حبها الكبير عن ستيفن بدافع غريزي لا تعرف له سبباً .. لقد أخفت عنه تفانيها في هذا الحب .. لم تخبره بأنها أحبته أقوى وأعنف الحب منذ رأته أول مرة في تلك الحفلة بقصر أبيها .. ولعلها أخفت حبها القوي هذا عنه لأنها كانت تعرف بغريزتها أنه لم يتزوجها عن حب قوي كالذي تكنه له ، وإنما طمعاً في نفوذ أسرتها [illegible] وكانت تأمل بتفانيها ، وإخلاصها ، ومشاركتها له في الشعور والتفكير والسعي نحو الهدف المشترك ، أن تظفر في

النهاية بحبه وبقلبه وبكل عواطفه

نعم . كانت تأمل أن تظفر بأقوى مشاعره في النهاية لأنها كانت تعلم تماماً أنه يشعر بالسرور في وجودها معه ، ويبتهج بمعاونتها له ، ويسعد لقربها منه ، ويدرك أنه لا يستطيع الاستغناء عنها . كانت تعرف أن هذه المشاعر كلها ما هي الا المعابر نحو الحب العميق في النهاية

ثم .. جاءت روزماري .. فهدمت كل شيء

ان ساندرا لتعجب أحياناً كيف يظن ستيفن أنها لا تعرف شيئاً عن هذا الحب بينه وبين روزماري . لقد كانت تعرف بدأ هذا الحب منذ اللحظة الاولى . منذ أن رأته وهو ينظر الى روزماري لأول مرة في بهو فندق سان موريتز

ولقد عرفت على التحديد اليوم الذي أصبحت فيه روزماري عشيقته

عرفت نوع العطر الذي كانت تستعمله روزماري في ذلك اليوم

كانت تقرأ ببصيرتها النافذة أفكاره كلما عاد بعد موعد مع عشيقته

ولقد تعذبت ساندرا كثيراً . وظلت تتعذب يوماً بعد يوم في صمت وجلد واحتمال . كانت تحتمل هذا العذاب بشجاعة ، وكبرياء ، وأمل في أن تخمد جذوة هذا الحب يوماً ، وتنتهي نزوته العابرة ، ويعود ستيفن اليها وقد أدرك الفارق الكبير بينها وبين تلك الجميلة الحمقاء روزماري

ولكن الأيام تمر . والأسابيع تتكرر . والعلاقة بين ستيفن وروزماري تزداد قوة وعنفاً ، وبدأ القلق العنيف ينهش صدر ساندرا .. وبدأ النوم يجفوها . وبدأت شهيتها للطعام تقل .. ولكنها تجلدت ، وأبت أن تجعله يشعر بما هي فيه من عذاب رهيب

إنها موقنة بأن ستيفن لن يسمح لروزماري بأن تقضي عليه مستقبله .. لقد خلق ستيفن ليكون زعيماً بين الرجال .. وليس أدل على هذا من محاولته الهرب منها بالذهاب الى نيوهافن لقضاء أسبوع في راحة واستجمام

وشعرت ساندرا ببوادر السعادة خلال هذا الأسبوع . شعرت أن ستيفن يحاول ان يبتعد عن روزماري تمهيداً لقطع علاقته بها

ولكن روزماري لاحقته برسائلها .. ثم لاحقته بغرامها بعد عودته الى لندن .. وتبينت ساندرا أن ستيفن يتعذب من فرط القلق .. أدركت انه حائر لا يدري ماذا يفعل مع روزماري .. لقد سمعتها تقول في همس لستيفن ذات ليلة وهي تظن ان أحداً لا يسمعهما : « يجب أن نحزم أمرنا ونواجه العالم . سوف أخبر جورج بكل شيء »

واصبحت ساندرا بعد سماعها هذه العبارة ، كتلة مشتعلة بالحقد والكراهية . فقد عرفت أي عالم من العذاب يعيش فيه ستيفن . عرفت ان الحمقاء روزماري مصممة على الطلاق من زوجها والزواج من ستيفن بأي ثمن .. واذا رفض أقرتها فضيحة مدوية تحطم مستقبله

وتسممت أفكارها نحو روزماري ، ولو ان الأفكار تقتل ، لقتلت افكار ساندرا روزماري

ولكن الأفكار لا تقتل أحداً .. انها لا تكفي

كم كانت روزماري جميلة في حفلة عيد ميلادها بطعم اللوكسمبرج وهي تزين كتفيها العاريتين بفراء ثمين تركته في غرفة ملابس السيدات . كانت شاحبة الوجه ، نحيلة الجسم ، بعد مرضها .. ولكنها كانت فاتنة ، جذابة ، لا يستطيع أي رجل أن يقاوم جاذبيتها

لقد وقفت في غرفة الزينة بالفندق تضع البودرة على وجهها أمام المرآة .. ووقفت ساندرا وراءها تنظر إلى نفسها في المرآة فلا ترى غير وجه بارد لا ينم عن الانفعالات التي تجيش وراءه !

واستدارت روزماري فجأة اليها وقالت لها باسمة « أوه . ساندرا .. معذرة . لقد احتللت المرآة لنفسي كل هذا الوقت . أوه .. لشد ما أشعر بالتعب والصداع من آثار الأنفلونزا »

وقالت ساندرا بصوتها المهذب : « أتشعرين الليلة بصداع يا عزيزتي ؟! »

وأجابت روز ماري « نعم .. صداع بسيط .. هل أجد معك أقراص أسبرين ؟! »

وفتحت ساندرا حقيبة يدها وهي تقول : « لدي أقراص مسكنة على شكل برشام »

وأخذت روزماري البرشام المسكن منها ودسته في حقيبة يدها وهي تقول « سأحتفظ بهذا المسكن لاستعماله إذا اشتد الصداع »

وكانت روث ليسنج ، سكرتيرة جورج ، واقفة في الغرفة ترقب هذا كل ولاحظت ساندرا نظرات الكراهية المطلة من عينيها وهي تنظر إلى روزماري وأدركت أنها هي ايضاً ، لسبب ما ، تكره زوجة رئيسها أشد الكراهية

وبعد أن فرغن جميعاً من التجمل ، غادرن الغرفة .. وكانت معهن أيضاً إيريس شقيقة روزماري . كانت تنتظر دورها للتجمل ، وكانت تبدو بعينيها الواسعتين ، ووجهها البريء المدهوش ، كتلميذة في مدرسة ، تحضر لأول مرة في حياتها حفلة ساهرة

وكانت روز ماري تضحك عالياً وهي تغادر الغرفة إلى قاعة المطعم .. تضحك وهي لا تدري أنها تخطو .. نحو الموت

الفصل السادس

جورج بارتون

« روزماري .. ! »

وأعاد جورج بارتون الكأس إلى المنضدة وهو ينظر في ذهول ووجوم إلى نيران المدفأة ، لقد شرب حتى أوشك أن يفقد الوعي

كم كانت تلك الفتاة جميلة . وكم كان مفتوناً بها ، غارقاً في حبها إلى أذنيه موقناً تماماً بأنها كانت تضحك من حبه وتستخف به

لم يكن يتصور لحظة أنها ستقبل الزواج منه حين غامر وطلب يدها .. إنها لم تقبل الزواج منه فوراً وإنما ضحكت وأمهلته حتى تفكر .. وقبلته في رأسه قائلة :

– إنك عزيز علي يا جورج .. ولطيف وطيب القلب .. ولكني لا أفكر في الزواج الآن . وعندما أفكر فيه ، سأخبرك

ولم تكن لديه ذرة من الأمل في أنها ستقبله زوجاً يوماً . ولهذا كاد لا يصدق أذنيه وعينيه حين أعلنت له ذات يوم انها قبلت الزواج منه

انها لم تتزوجه عن حب . أبداً . كان يعرف هذه الحقيقة .. وقد

صارحته روز ماري بها وهي تقول :

— أنت تفهم شعوري يا جورج .. إن قلبي لم يتفتح للحب بعد .. وإنما أريد أن أستقر .. وأن أسعد في حياتي مع زوج عطوف متزن عاقل مثلك .. لقد سئمت مغازلات الشبان لي ، وأدركت أن هذه النزوات العابرة لا فائدة منها .. وقد اخترتك لأنك لطيف ، ولأنك تحبني حقاً أشد الحب

وأحس جورج أنه يعيش في جو سعيد مع روزماري .. لم يكن يتصور أبداً أن الأقدار ستحابيه إلى هذا الحد وتسعده بالزواج من فتاة تتمتع بالشباب الناضر ، والجمال الباهر ، والثراء الوافر

وقرر في نفسه أن يسعدها بقدر ما يستطيع .. قرر أن يترك لها الحرية التامة في تصرفاتها حتى لا تشعر بقيود الزواج وتثور عليها .. كان واثقاً أنها ستلهو وتعبث وتستمتع بحياتها في حدود الشرف والطهر .. لم يخطر بباله يوماً أنها قد تخونه مع رجل آخر .. أنها قد تعرف الحب العنيف الذي يدفعها إلى طلب الانفصال عنه

ولكن الأقدار أخلفت ظنه ، فاذا هو يشعر ذات يوم أن روزماري أحبت .. تفتح قلبها للحب فجأة .. فاذا جمالها يتضاعف ويزدهر كالوردة في فصل الربيع .. وإذا عيناها تتألقان بالحب الذي يرسل أناشيده في دمائها .. واذا عيناها تتوهجان بنيران هذا الغرام الوليد

كان يشعر بهذا كله ، ويدركه بداهة ، ثم أيقن منه بالحقيقة الواقعة

دخل عليها وهي تكتب .. فلما رآها ترتبك وتضطرب وتخفي الورقة في يدها ، وتغادر الغرفة مسرعة ، ذهب الى النشافة فوجد هذه الكلمات معكوسة عليها بوضوح « يا حبيبي الحبيب » وشعر في تلك اللحظة بما كان يحس به عطيل من نار الغيرة على ديدمونة !. إه .. لقد أحبت روزماري أخيراً .. أحبت رجلا غيره ! لسوف يخنقها بيديه ويراها جثة هامدة على أن يدعها تعيش في أحضان إنسان اخر .. مستحيل .. مستحيل .. ترى من هو

هذا الحبيب الغبي ؟. إنه أحد اثنين ولا ثالث لهما .. إما أنتوني براون . او ذلك السياسي المتعجرف ستيفن فاراداي

ونظر جورج الى وجهه في المرآة عندئذ ، فرأى الدماء تتصاعد إلى عينيه وربما كاد سيقع مغشياً عليه من فرط الغضب ، والغيرة ، والحقد

إن جورج يرتعد الآن وهو يتذكر تلك اللحظة الرهيبة التي اكتشف فيها أن روزماري — زوجته — حبيباً . أو عشيقاً . من يدري .

وطرد موكب الذكريات في جهد عن ذهنه .. إنه لا يريد أن يتذكر . فقد انتهى كل شيء ، إنه لن يتعذب مرة اخرى . ماتت روزماري وأصبحت في عالم السلام . واصبح هو أيضاً يعيش في سلام بعد موتها ؟

من كان يصدق أن جورج بارتون لن يشعر بالرضى والسلام إلا بعد موت روزماري !.

ولكنها الحقيقة الواقعة

إنه لم يخبر سكرتيرته روث بهذا الأمر . لا داعي للفضائح

حسنا .. حسبه أن يفكر في سكرتيرته القديرة روث ليسنج .. يا لها من فتاة رائعة ، مدهشة ، عملية . إنه لا يدري ماذا كان يفعل لو لم تكن روث بجانبه .. تساونه ، وتواسيه ، وتخفف عبء العمل عنه ، دون اشارة أو تلميح للعواطف الجنسية

ما أبعد الفرق بينها وبين روزماري ذات العواطف الملتهبة نحو الرجال

روز ماري .. روزماري جالسة إلى مائدة العشاء في مطعم اللوكسمبرج الفاخر .. شاحبة بعد اصابتها بالانفلونزا .. ولكنها فاتنة جذابة . رائعة الجمال

ثم .. بعد ساعة واحدة ، كانت

لا .. لا .. انه لن يفكر في هذا الآن .. ليس الآن .. ليركز افكاره في الخطة .. الخطة ؟ انه يرسم خطة عجيبة مدهشة . مذهلة .. للايقاع بالقاتل

سوف يتحدث عنها أولاً الى صديقه الكولونيل ريس بعد أن يطلعه على الرسالتين المجهولتين ، اما الخطة نفسها، فقد أوشك ان يفرغ من رسم خطوطها .. لقد فرغ من تحديد اليوم والمكان ، اليوم الثاني من نوفمبر ، عيد كل الأرواح .. والمكان مطعم اللوكسمبرج وسيحاول ان يحجز نفس المائدة المستديرة في نفس المكان من قاعة المطعم الذي وقع فيه الحادث

والمدعوون انفسهم .. انتوني براون .. ستيفن فاراداي وزوجته . وطبعاً روث وايريس وهو نفسه .. ثم .. ثم الكولونيل ريس .. ريس الذي كان مفروضاً ان يحضر الحفلة الأولى لو لم يعتذر ، وسيكون بينهم مكان خال .. مكان كانت تجلس فيه روزماري .. إن الخطة ستكون رائعة ، صورة من الجريمة .. تكرار للحادث .. ثم المفاجأة الرهيبة التي ستهز اعصاب القاتل المجهول

الفصل السابع

بين زوجين

كانت لوسيلا دريك مشغولة بالاستعدادات اللازمة للانتقال من منزل ليتل برايور إلى لندن .. وكانت لا تكف عن الثرثرة ، كعادتها ، وهي تؤدي عملها .. كانت تتحدث عن جورج وشحوب وجهه في الأيام الأخيرة ، وعن ابنها فكتور المسكين المظلوم ووجوب إرسال كل ما يطلبه من مال في الغربة والا قتل نفسه ، وهي لا تستطيع ان تعيش بعده لحظة واحدة ، فهو ابنها الوحيد ، وفجأة قالت لايريس :

– تأكدي يا عزيزتي ان هذه الفتاة روث ليسنج تسعى للزواج من جورج .. نعم .. أنا واثقة من هذا .. انها ترمي شباكها حوله .. انها تتدخل في كل صغيرة وكبيرة من اعماله ، انها ترسم خطتها للايقاع به في فخ الزواج ببراعة ومهارة .. انها ..

فقاطعتها ايريس في ضيق قائلة :

وهل هذا يهمنا في شيء

– يهمنا ؟ طبعاً يهمنا كل الأهمية ؟. لماذا يحتاج جورج للزواج مـــا دمنا تؤدي له كل ما يحتاج اليه للحياة في استقرار .. لماذا يفرض علينا سيدة للبيت

وبعد ان ظلت تتحدث بضع دقائق عن هذا الموضوع ، وعن غـــيره من مختلف الموضوعات ، قالت

– والآن .. ان جورج لم يخبرنا هل سنحمل البطاطين معنا الى لندن ، ام نتركها هنا

– وما اهمية هذا ؟

– اننا اذا تركناها هنا فيجب ان نرش عليها المسحوق القاتل للعثة .. فان العثة تتكاثر في هذا الموسم بشكل فظيع .. هكذا يقول كل إنسان .. وكذلك الدبابير تكاثرت هذا الموسم اكثر مما ينبغي .. لقد ضرب البستاني هوكنز ثلاثين جحراً لها امس مستخدماً سيانيد البوتاسيوم .. تصوري .. ثلاثين جحراً

وشردت افكار إيريس فجأة .. هوكنز يستعمل سيانيد البوتاسيوم .. السم القاتل .. للقضاء على الدبابير .. سيانيد – روزماري .. يا للهول .. ان كل شيء يؤدي إلى ذكرى هذا الحادث

وارتعدت ايريس

وصاحت لوسيلا دريك في انتصار :

– الم اقل لك ان الجو قد بدأ يبرد .. ها انت ذي ترتعدين .. يحسن ان ترتدي ثوباً صوفياً

* * *

وفي الجانب الآخر من المزرعة الصغيرة .. على بعد ميـل ونصف ميل ، كان ستيفن فارادي جالساً إلى مائدة الإفطار يتحدث إلى زوجته في اضطراب شديد .

– إنني لا أدري ماذا يقصد جورج بارتون من دعوته لنا والحاح شديد لحضور حفلة عيد ميلاد إيريس .. يقول إنه يقيم هذه الحفلة بمناسبة بلوغها الثامنة عشرة

– ألا يمكن أن نعتذر إذا أردت

– لقد حاولت الاعتذار ، ولكنه رفض .. قال إنه يترك لنا تحديد اليوم الذي يمكننا فيه الحضور إذا شئنا

– حسناً .. لنذهب ، فاننا لن نخسر شيئاً على كل حال ، وايريس فتاة لطيفة ، ولا بأس أن نجاملها هي إذا لم نشأ أن نجـــامل جورج .

– نعم .. نعم .. ولكنني لاحظت أن إيريس نفسها غير متحمسة لهذه الحفلة ..

– هل حدد موعدها ؟

– قال إنه سيترك لنا حرية اختيار يوم من ثلاثة أيام .. الثلاثاء أو الأربعاء أو الخميس الموافق ٢ نوفمبر .. بعد عشرة أيام تقريباً ..

– وبهذه الطريقة لم يترك لك فرصة الاعتذار .. هل حددت له يوماً .

– لقد اقترح يوم الخميس الثاني من نوفمبر ، فوافقته ، وارتبطت معه على هذا الأساس

– هل أخبرك بمكان الحفلة ؟

– لا .. هل أخبرك أنت ؟

– علمت أنها ستقام في مطعم اللوكسمبرج

واغسرت الدماء فجأة عن وجه ستيفن، وبذل جهداً عنيفاً ليجمع شتات أعصابه المستوفزة ، وخيل اليه أن زوجته تنظر اليه في غموض !. أم لعله يتوهم هذا ؟!

وقال أخيراً وهو يحاول أن يخفي اضطرابه :

– ولكن هذا غير معقول .. لماذا يختار اللوكسمبرج حيث .. حيث ماتت روزماري ؟ لا شك أن الرجل مجنون تماماً

– إنني أعتقد هذا أيضاً

– إذن يجب أن نعتذر .. إننا لم ننس بعد تلك الضجة التي حدثت بسبب وفاة روزماري ، أقوال الصحف .. والصور .. و .. المضايقات المختلفة ..

– نعم أذكر هذا .. ولكن لجورج هدفاً يريد أن يحققه من وراء هذه الحفلة .. وقد أخبرني به

– وما هو ؟

– قال لي على انفراد أمس ، إن ايريس لم تتغلب بعد على الصدمة التي أصابتها بسبب وفاة أختها ، و ..

– هذه حقيقة لاحظتها بنفسي ، فان إيريس تبدو دائماً شاحبة ، مضطربة شاردة التفكير

– نعم .. لاحظت هذا أيضاً وإن كانت الفتاة في الأيام الأخيرة قد بدأت تسترد صحتها وحيويتها، وقد قال جورج إنها تتحاشى الذهاب إلى مطعم اللوكسمبرج بعد المأساة

– ولكنه يرى أنه أمر خطير .. ويبدو انه استشار الأطباء الاخصائيين في الامراض النفسية والعصبية فأشاروا عليه بإقامة حفلة خاصة في مطعم

اللوكسمبرج تحضرها إيريس ، ويستحسن أن يحضرها جميع من كانوا في الحفلة التي انتهت بالمأساة ، وبهذه الطريقة تتغلب على الصدمة . تماماً كما يفعل المسؤولون مع الطيار الذي نجا من سقوط طائرته ، إنهم يكلفونه بالطيران في طائرة اخرى عقب الحادث قبل ان تتكون لديه عقدة نفسية

– وما ذنب المدعوين في هذا الأمر . ما ذنبنا نحن

– هل ترى ان الذهاب الى اللوكسمبرج يؤلمك كثيراً ؟!

فأسرع ستيفن قائلاً حتى لا يقع في الفخ :

– لا لا ، لقد .. خطر لي فقط انها فكرة شاذة .. وأنا شخصياً لا أهتم إذا كانت الحفلة في اللوكسمبرج أم في غيره ، ولكنني ظننت أنك ربما ..

فقاطعته قائلة :

– وأنا أيضاً لا أهتم .. فقد ذهبنا معاً الى اللوكسمبرج كثيراً بعد المأساة ، وقد أصبح من العسير علينا أن نرفض دعوة جورج بعد أن قبلناها .

– إنني على استعداد يا ساندرا للذهاب وحدي .. وليس هناك ما يرغمك على قبولها ، فمن الممكن أن تعتذري في اللحظة الأخيرة بصداع مفاجيء أو بشيء من هذا القبيل

فرفعت ساندرا رأسها في كبرياء وقالت :

– لا .. إذا ذهبت ، فيجب أن أذهب معك .. قد تكون حياتنا الزوجية ليست ذات أهمية . ولكن واجبي أن اشترك معك في كل المصاعب وأواجه بجانبك كل المشكلات

ونظر اليها مدهوشاً معقود اللسان وهو يسمعها تقول : « قد تكون حياتنا الزوجية ليست ذات أهمية » في بساطة ووضوح وصراحة . وغالك نفسه

أخيراً وقال :

– لماذا قلت هذا ؟ لماذا قلت عن حياتنا الزوجية أنها ليست ذات أهمية ؟!

فنظرت اليه بعينيها الواسعتين الصريحتين في ثبات وبراءة وقالت :

– أليست هذه الحقيقة

– لا . وألف مرة لا ، إن لها كل الأهمية في حياتي

فابتسمت قائلة :

– ربما .. بطريقة ما .. أو لهدف معين . فنحن نسير معاً كجوادين في طريق واحد

– ليس هذا ما أعني يا ساندرا

ثم لهثت أنفاسه وهو يردف قائلاً بعد أن أخذ يدها بين يديه .

– ساندرا .. ألا تعلمين أنك أغلى وأثمن وأحب شيء في حياتي .. بل أنت كل حياتي .

وفجأة ادركت الحقيقة ، الحقيقة المذهلة ، الرائعة ، التي كانت تحلم بها ، ولا تنتظر أن يتحقق الحلم يوماً . أدركت من لهجة حديثه ، ومن نبرات صوته ، ومن بريق عينيه ، أنه صادق ، إنه يحبها حقاً .. إنها حياته صدقاً !

وأسرعت اليه ، والقت بنفسها بين ذراعيه ، وراحت ، لأول مرة في حياتها تضمه بقوة وعنف وحب ملتهب ، وتتلقى على شفتيها قبلاته العارمة ، وتنصت الى صوته المتهدج بالانفعال وهو يقول :

– ساندرا .. ساندرا .. يا حبيبتي . لشد ما أحبك . لشد ما كنت أخشى أن أفقدك

– بسبب روز ماري ؟!!

فتراجع عنها في دهشة وقال :

– أكنت تعرفين ؟!

– طبعاً . طول الوقت

– وتدركين ؟!

فهزت رأسها وقالت في حيرة :

– لا . لم أكن أدرك حقيقة مشاعرك . أعتقد أنك كنت تحبها

– لا .. لم أكن أحبها حقاً . كنت أتوهم اني أحبها .. أما الحقيقة ، فقد كنت أحبك أنت ، أنت فقط .. ولا احد غيرك

فقالت ببراءة :

– هل تزعم أنك احببتني من اول نظرة كما قلت لي من قبل ؟!

– لا .. لا أستطيع ان اكذب عليك .. لقد اعجبت بك بعد أن عرفتك .. اعجبت بذكائك وكبريائك وحسن تربيتك وكرم اخلاقك وصفاء معدنك .. وظل حبك يتسلل الى اعماق نفسي قطرة قطرة حتى ايقنت منه حين فكرت في اني قد افقدك بسبب روز ماري . إن مجرد التفكير في فقدك افزعني .. ادركت فجأة انني لا استطيع الحياة بدونك

فهزت رأسها في اسف وقالت :

– آه لو كنت اعرف هذا كله

– إذن ماذا كنت تظنين ؟!

– كنت اظن انك تفكر في الهرب معها بعد ان يئست من التخلص منها

– اهرب مع روز ماري ؟! إن الحياة معها ليست إلا أشغالاً شاقة مؤبدة

– الم ترغب هي في ان تهربا معاً .؟ الم تكن هي عاقدة العزم على الطلاق من زوجها ؟

– نعم .. كانت مصرّة على هذا

– إذن ماذا حدث ؟

فتنفس في عمق وقال وهو يجد نفسه يواجه مرة اخرى تلك الذكريات الرهيبة :

— حدثت مأساة الوكسبرج

وخيم الصمت عليها برهة ، وراح كل منهما يتذكر الوجه الازرق المسموم الذي كان قبل لحظات ينبض بالحيوية والحياة

وتلاقت عيونهما اخيراً ، فقال ستيفن

— إنسي يا ساندرا كل ما حدث .. ارجوك .. انتسي ما حدث تماماً

— لا فائدة من النسيان . إننا لن نستطيع ان ننسى .. لن يسمحوا لنا بهذا ، فماذا نفعل ؟

— إذن لنواجه ، كما قلت الآن ، المشكلات معاً . جنباً الى جنب لنذهب الى هذه الحفلة البغيضة ايا كان الهدف الحقيقي من ورائها

— إذن فأنت لا تصدق ما يقوله جورج عن سبب إقامتها ؟

— لا . هل تصدقينه انت

— أعتقد أن له هدفاً خاصاً من إقامة هذه الحفلة .. هدفاً ليس له أدنى علاقة بإيريس

— أتعرفين ما هو هذا الهدف ؟

— لا .. ولكني خائفة

— من جورج بارتون ؟

— نعم ، فاني أعتقد أنه يعرف

— يعرف ماذا ؟

فادارت رأسها ببطء حتى التقت عيناها بعينيه ، ثم قالت هامسة :

— مهما يكن الأمر .. يجب أن تتدرع بالشجاعة .. إنك ستصبح رجلاً عظيماً يا ستيفن .. رجلاً يحتاج العالم اليه .. ولن أسمح لمأساة تافهة كهذه أن تحرم العالم منك .. إنني احبك

— إذن فأنت تظنين أن هذه الحفلة مجرد فخ !

— نعم ، ولكن ..

ثم ضحكت عالياً وأردفت قائلة : وأعلى ما يحزنني ان روزماري سوف تنتصر عليك .

وأمسك ستيفن بكتفي زوجته وقال :

— ساندرا .. فالكي نفسك .. إن روزماري ميتة !

— أحقاً ؟ ولكنني أحس أحياناً أنها لم تمت

الفصل الثامن

بين حبيبين

سارت إيريس وحدها على سفح التل المشرف على مزارع المنطقة التي يقع فيها منزل النبل برايور وقصر آل فراداي فيرهافن . وكانت تشعر بالانقباض الشديد في ذلك اليوم من شهر أكتوبر ، لأنها لا تدري إلى أين تمضي . إنها تريد أن تسير ، وأن تظل سائرة إلى ما لا نهاية .. إنها لا تريد أن تعود إلى منزل لينل برايور حيث كان جورج جالساً في انتظار صديق له ، لشد ما تشعر بالضيق من جو هذا المنزل ، ونزقة العمة لوسيلا واضطراب جورج وشذوذ تصرفاته ، ودعوته نفس الأشخاص الذين شهدوا مأساة أختها لحضور حفلة عيد ميلادها هي .. رغم أنه لا يزال على بلوغها سن الثامنة عشر أكثر من أسبوعين .

وشعرت أخيراً بالتعب ، فجلست على جذع شجرة ملقى ، وراحت تنظر في ذهول واكتئاب إلى منزل النبل برايور وقصر فيرهافن وهما يبدوان من بعيد . وفجأة شعرت بوقع خطوات وراءها ، فالتفتت في شيء من الخوف ، وإذا هي ترى آنتوني براون واقفاً يشعل سيجارته ويملأ صدره بأول أنفاسها ،

وهتفت قائلة

– أنتوني . لماذا تظهر أمامي هكذا فجأة ، كما يظهر الشبح في الأساطير ؟

فقال وهو يجلس بجانبها :

– لأني ، كما تقول الصحف ، الرجل الخفي .. الذي يظهر ويختفي من حيث لا يعرف أحد

– كيف عرفت انني هنا ؟

– بالمنظار المقرب الذي لا يفارق جيبي

– ولماذا لا تأتي إلى المنزل كأي شخص عادي ؟

– لأنني لست شخصاً عادياً .. إنني غريب الأطوار جداً

– هذا ما أعتقده أيضاً

ثم أردفت قائلة في حدة :

– لماذا .. لماذا ترفض أن تزورني في البيت . هنا أو في لندن . لا شك أن هناك سبباً !

فهز كتفيه وقال :

– ربما .. ولكن الواضح أن جورج بارتون لا يميل إليّ .. فلماذا أدخل بيته !

– لا عليك من جورج بارتون .. يكفي أن تقبل دعوتي ودعوة عمتي لوسيلا للحضور ، إنها سيدة طيبة القلب ، لا تكره أحداً

– نعم . أعرف هذا ، ومع ذلك لا زلت مصراً على الامتناع

– لقد كنت تكثر من زيارة البيت أيام روزماري !

– نعم . ولكن الموقف الآن جد مختلف

فقالت إيريس وهي تحس كأن أصابع باردة تعتصر قلبها

– ما الذي أتى بك إلى هذه المنطقة اليوم .. ألديك أعمال فيها ؟

- لدي عمل مهم جداً ، معك .. لقد جئت لألقي عليك سؤالاً يا إيريس
وارتفعت القبضة الباردة عن قلبها بسرعة ، وقد أدركت أنه سيطلب الزواج منها ، ومن ثم نظرت اليه في ترقب وهي تحاول أن تخفي لهفتها وقالت :

– حسناً !.

- أجيبيني بصراحة يا إيريس .. هل .. هل .. تثقين بي ؟

وفوجئت إيريس .. فما كانت تتوقع هذا السؤال .. وأدرك هو حقيقة شعورها ، فقال :

– أنا أعرف أنك لم تكوني تنتظرين هذا السؤال .. ولكنه سؤال مهم جداً أهم سؤال في الدنيا بالنسبة إليّ .. وإني ألقيه عليك مرة أخرى .. هل تثقين بي ؟

فترددت برهة ، ثم أغمضت بعينيها وقالت :

– نعم ..

– إذن سألقي عليك سؤالاً ثانياً .. هل تأتين معي إلى لندن لتتزوجي بي دون أن يعرف أحد .. الآن على الأقل

فنظرت اليه في دهشة وقالت :

– ولكنني لا أستطيع .. لا أستطيع أبداً

– لا تستطيعين ان تتزوجي مني ؟

– أعني بهذه الطريقة

– ومع ذلك فأنت تحبينني .. انك تحبينني يا إيريس أليس كذلك ؟

– نعم .. أحبك يا أنتوني

– ولكنك ترفضين الذهاب معي الى لندن حيث نعقد زواجنا شرعاً في الكنيسة

– كيف أفعل هذا بغير إذن جورج .. اني أجرح شعوره .. وعمتي لوسيلا لن تغفر لي مثل هذا الطيش .. أبداً .. ثم لا تنسى انني لم أبلغ السن

التي أستطيع فيها أن أتزوج برغبتي وأنا في الثامنة عشرة فقط .. ويجب أن أظفر أولاً بموافقة الوصي عليّ

– عليك ان تكذبي في مسألة السن .. وأنا لا أدري عقوبة هذا الكذب ، ولكني مستعد أن أتحمل العقوبة وحدي .. من هو الوصي عليك .. الوصي الذي يجب أن يأذن لك بالزواج ؟

– جورج .. انه الوصي .. ووكيل أعمالي

– مهما تكن العقوبة فهي لن تزيد عن غرامة مالية .. وسوف أدفعها أنا .. والمهم انهم لن يستطيعوا فسخ عقد الزواج

فهزت إيريس رأسها وقالت :

– انني لا أستطيع أن أفعل هذا يا أنتوني .. ثم لماذا نتزوج سراً ؟

– لهذا سألتك أولاً هل تثقين بي .. فلن أستطيع الآن أن أخبرك بالسبب ربما فيما بعد .. فما رأيك

فقالت في تردد :

– لو أن جورج فقط يعرفك كما ينبغي .. تعال معي الآن الى البيت .. فانه الآن هناك مع عمتي لوسيلا فقط

– أواثقة أنت من هذا ؟ لقد رأيت من بعيد وأنا أصعد سفح التل رجلاً في طريقه الى منزلكم .. يخيل لي أني رأيت هذا الرجل من قبل .. بل أعتقد اني رأيته فعلاً

– آه .. نسيت .. لقد قال لي جورج انه ينتظر شخصاً معيناً

– ان الرجل الذي رأيته في الطريق اليكم هو الكولونيل ريس

– ربما .. فان جورج يعرف رجلاً بهذا الاسم .. كان مدعواً ، ثم اعتذر ، في حفلة .. الحفلة .. التي ماتت فيها روزماري

ثم توقفت عن الحديث فجأة بعد أن ارتعد صوتها .. وأمسك أنتوني بيدها قائلاً :

– أوه .. لا داعي لأن تتذكري . تتذكري ما حدث ان الأمر جد فظيع . اني أعرف شعورك

– انني لا استطيع . آنتوني .. ألم يخطر ببالك يوما . الم تفطن

ثم حاولت ان تبحث عن الكلمات المناسبة لما تريد أن تقول ، ثم اردفت قائلة :

– الم تفكر لحظة انها لم تنتحر . وانما قتلت ؟

– يا السماء ؟ من أوحى اليك بهذه الفكرة يا إيريس ؟

– أجبني . الم يخطر ببالك هذا الاحتمال ؟

– طبعاً .. لا .. لقد ماتت روزماري منتحرة . من الذي يوحي اليك بهذه الآراء ؟!

وكادت أن تخبره .. ان تذكر له حديث جورج والرسالتين المجهولتين ولكنها امتنعت ، ثم قالت ببطء :

– انها مجرد فكرة خطرت ببالي

فتناولها بين ذراعيه وقبل وجنتيها قائلاً :

– إذن لا تفكري في هذا الأمر مرة أخرى .. لا تفكري في شيء آخر .. غيري !

الفصل التاسع

الفخ

أخذ الكلونيل رايس ينفث دخان بيبته وينظر إلى صديقه جورج بارتون في إمعان وترقب .. وكان يعرف جورج منذ طفولته .. أي منذ كان جاراً لأبيه . وكان جورج دائماً في نظره « جورج الصغير » حتى بعد بلوغه الأربعين من عمره .. أما الكلونيل فكان يقترب من الستين .

ولم يكن يدري في تلك اللحظة ، ماذا يريد منه جورج أو لماذا دعاه إلى هذه الزيارة ، فقد كانا رغم صداقتهما التي نشأت بحكم الجيرة القديمة ، يختلفان في التفكير ، وفي النظر إلى الأمور .. كان جورج هادىء الطبع ، متوسط الذكاء ، رجل أعمال ممتاز ، مدني الطباع ، أما الكلونيل ، فكان عسكريا في مظهره ، وتفكيره ، ومزاجه .. وطريقة حياته

ولما طال الصمت بينهما أثناء زيارة الكلونيل لجورج في منزل ليتل برايور ، قال له الكلونيل وهو يتناول البيبة من فمه :

– ماذا بك يا جورج الصغير ؟! أراك مضطربا

– نعم . إنني جد مضطرب .. أحوج ما أكون إلى النصيحة والمساعدة .

فأومأ الكولونيل برأسه وانتظر . واستطرد جورج يقول :

– منذ عام تقريباً . كنت مدعواً لتناول العشاء معنا في مطعم الكسمبرج بمناسبة الاحتفال بعيد ميلاد روزماري .. ولكنك اعتذرت وسافرت إلى الخارج في آخر لحظة

– نعم . سافرت إلى جنوب أفريقيا

– وفي هذه الحفلة .. ماتت زوجتي روزماري

فأومأ الكولونيل ريس برأسه وقال :

– نعم . أعرف ذلك . قرأت النبأ في الصحف .. ولم أشأ أن أقدم إليك التعازي الآن حتى لا أثير الذكريات . ولكنني ، كما تعرف ، جد آسف محزون

– شكراً ، شكراً .. ليس هذا ما أهدف إليه .. لقد ظن الجميع أن زوجتي ماتت منتحرة

– ظن الجميع ؟!

– إقرأ هاتين الرسالتين المجهولتين

وبعد أن قرأ الكولونيل الرسالتين ، وقال وهو يهز رأسه :

– من المعتاد أن يرسل بعض المجهولين مثل هذه الرسائل السخيفة عقب الأحداث المثيرة ، هذه طبيعة بعض الناس .. يهوون الصيد في الماء العكر !

– ولكن الرسالتين أرسلتا إليّ بعد ستة أشهر من الحادث

– هذه مسألة أخرى .. حسناً .. من تظن المرسل ؟!

– إنني لا أدري ، ولا أهتم بشخصية المرسل .. المهم أني أعتقد بصدق ما ورد في هاتين الرسالتين .. إن زوجتي لم تنتحر .. وإنما قتلت !

فوضع ريس بيبته على المنضدة أمامه ، واعتدل في مقعده ، وقال :

– ما سبب هذا الاعتقاد ؟ هل كنت ترتاب في أحد بعد وقوع الحادث .. هل يشك رجال البوليس ؟

– كنت في حالة ذهول تام بعد وقوع الحادث . كنت في حيرة شديدة ، فلم يسعني إلا أن أتقبل قرار قاضي التحقيق بأن الحادث انتحار بلا مناقشة .. فقد كانت زوجتي تعاني من انقباض نفسي شديد بعد الأنفلونزا .. ولم يشك أحد في أنها انتحرت ولاسيما حين عثرنا على السم في حقيبة يدها

– أي نوع من السموم ؟!

– سيانيد

– آه .. تذكرت . لقد تناولته في كأس من الشمبانيا

– نعم .. هذا ما بدا لنا جميعاً في حينه

– هل سبق لها أن هددت يوماً بالانتحار ؟

فقال جورج بلهجة تأكيد :

– لا . أبداً .. أبداً .. كانت روزماري تحب الحياة حب عبادة

فأومأ ريس برأسه وهو يتذكر آخر مرة رأى فيها روزماري المرحة المحبة للحياة ثم قال :

– وماذا قال الطبيب الشرعي عن حالتها النفسية والعقلية قبيل الحادث ؟

– كان الطبيب الخاص لروزماري .. وهو طبيب عائلة مارل الذي كان يعالج الأسرة منذ كانت روز ماري وايريس طفلتين . كان هذا الطبيب في رحلة بحرية عند وقوع الحادث .. أما شريكه ، وهو طبيب شاب فكان يعالج روزماري من الأنفلونزا ، فقد قال ، على ما أذكر ، أنها أصيبت بهذا النوع من

الأنفلونزا الذي يترك أثراً عميقاً في الأعصاب مما يجعل المريض يشعر بالانقباض الشديد وهو في دور النقاهة

وتوقف جورج عن الحديث برهة قبل أن يستطرد قائلاً :

– ولم أتحدث مع طبيب روزماري الذي أشرف على علاجها إلا بعد أن استلمت هاتين الرسالتين .. ولم أخبره طبعاً بأمرهما .. وإنما شرعت أبحث معه كل الاحتمالات التي أدت إلى موتها .. وقد أعرب لي عن دهشته لما حدث ، قال بصراحة إنه لا يعتقد أبداً أن روزماري من النوع الانتحاري . وهكذا ازددت يقيناً أن روزماري لم تنتحر .. وإنما .. قتلت

فقال الكولونيل ريس بصوت خافت :

– ألا يمكن أن تكون هناك أسباب أدت إلى كراهيتها للحياة ؟

فتحاشى جورج نظرات صديقه وغمغم قائلاً !

– لا أظن .. ولكنها كانت في الأيام السابقة على وفاتها متعبة الأعصاب بعض الشيء

وصمت برهة ثم قال :

– والأهم من هذا كله أن روزماري لو أرادت الانتحار لما لجأت إلى هذه الطريقة المؤلمة .. فالمعروف أن سم السيانيد يسبب آلاماً لا تطاق .. وقد كان في مقدورها إذا أرادت الانتحار أن تتناول جرعة كبيرة من مادة منومة .. فتموت بغير ألم

– ألم يهتد رجال البوليس إلى المصدر الذي حصلت منه على السيانيد ؟

– لا .. ولكنها مكثت مع أصدقائها في الريف بضعة أيام .. والريفيون يستخدمون سم السيانيد في القضاء على الدبابير .. وقد ظن الجميع أنها حصلت على هذا السم من الريف

هذا محتمل .. فمن السهل على أي إنسان أن يحصل على كمية من أملاح السيانيد من كشك أي مزارع أو بستاني

– ولكنني أصبحت موقناً تماماً أنها لم تنتحر رغم كل القرائن الظاهرية

– هل تشك في شخص معين ؟

فقطب جورج جبينه وقال :

– هذا أفظع ما في الأمر كله .. إذا كانت روزماري ماتت مقتولة ، فلا بد أن يكون قاتلها واحداً ممن كانوا معنا حول المائدة في تلك الليلة ، لأنه لم يقترب شخص غريب منا

– لا تنس الجرسونات .. من الذي كان يملأ لكم كؤوس الشراب !

– إنه تشارلس ، المتردوتيل في اللوكسمبرج .. أتعرف تشارلس ؟

وأومأ الكولونيل برأسه .. فكل إنسان من المترددين على اللوكسمبرج يعرف تشارلس المتردوتيل أنه آخر من يفكر في قتل أحد المترددين على المطعم

وعاد جورج بارتون يقول :

– أما الجرسون الذي كان يقوم على خدمتنا أثناء الطعام فهو جوزيب الايطالي ، ونحن نعرف جوزيب جيداً ، وأنا أعرفه شخصياً منذ سنوات ، وهو دائماً يقوم على خدمتي كلما ذهبت إلى اللوكسمبرج ، رجل طيب القلب باسم الوجه ، مرح

– حسناً .. من هم المدعوون الذين كانوا حول المائدة في تلك الليلة !

– ستيفن فاراداي عضو مجلس العموم وزوجته الليدي الكسندرا ، وسكرتيرتي روث ليسنج ، وشاب يدعى أنتوني براون ، وايريس أخت روزماري ، وأنا .. سبعة أشخاص ، وكان من الممكن أن نكون ثمانية لو أنك لم تعتذر عن الحضور

– حسناً يا جورج .. من تظن أنه القاتل من هؤلاء جميعاً ؟
– إنني لا ادري .. لا أدري أبداً .. لو كانت لدي أية فكرة !
– لا تزعج نفسك يا جورج ، لقد خطر لي أنك قتلك في أحد المدعوين ، حسناً ، هلم نتحدث الآن في ترتيب جلوسكم ، ولنبدأ بنفسك

– كانت المائدة مستديرة ، وكنت جالساً والكسندرا فراداي على يميني ، ويحاذيها انتوني براون ، ثم روزماري ، ثم ستيفن فراداي ، ثم روث ليسنج التي كانت تجلس عن يساري

– حسنا ، وزوجتك هل شربت شمبانيا في أول الحفلة ؟

– نعم ، لقد ملئت الكؤوس بضع مرات ، أما الحادث فقد وقع أثناء فاصل الكباريه في قاعة المطعم .. كان أحد الزنوج يرقص على نغمات الجاز الصاخبة ، وكنا جميعاً نرقبه .. وقد تهالكت روزماري بنصفها الأعلى على المائدة قبيل أن تستطع الأنوار مرة أخرى في المطعم . فقد كانت الأنوار قد خفتت في جوانب القاعة الكبرى لتركز على المسرح الصغير القائم في الوسط ، فلما عادت الى السطوع رأينا روزماري تلفظ أنفاسها الأخيرة ، ولعلها شهقت أو توجعت ، ولكننا لم نسمع شيئاً بسبب ضجة الكباريه .. وقد قال الطبيب إن الموت حدث في لحظات .. حمداً لله على أنها لم تتعذب طويلا

– نعم ، نعم .. حسناً يا جورج .. إن الأمر جد واضح الآن
– ماذا تعني ؟!

– ستيفن فراداي طبعاً .. كان جالساً على يمينها ، أي أن كأسها كان جد قريب منه ، ولم يكن أسهل عليه من وضع السم فيه بمجرد خفوت الأنوار في القاعة وانشغال الجميع بالنظر إلى فاصل الكباريه .. وأنا اعرف تماماً موائد اللوكسمبرج . إنها كبيرة .. ولم يكن في مقدور شخص آخر أن ينحني ويضع السم في كأسها دون ان يراه احد .. وهناك احتمال آخر ..

ولكن .. لنبحث أولاً أمر ستيفن فراداي .. هل هناك أي باعث يدفعه للقضاء على روزماري ؟

– كانا صديقين حميمين .. فاذا كانت روزماري قد أرادت قطع صلتها بها ، فربما عمد إلى الانتقام

– أتعتقد أن هذا هو الباعث الوحيد ؟

فاضطرم وجه جورج بالاحمرار ، وغمغم قائلاً :

– نعم ، نعم ..

– حسناً .. لننظر في أمر الاحتمال الثاني .. إحدى السيدات

– لماذا السيدات

– ألم تلاحظ يا عزيزي جورج أن جماعتكم كانت تضم أربع نساء ، وثلاثة رجال ، ومعنى هذا انه لا بد أن تبقى واحدة منهن على المائدة حين يرقص الرجال الثلاثة مع ثلاث نساء !

– نعم ، هذا ما حدث فعلاً

– حسناً .. هل تذكر من التي كانت جالسة وحدها إلى المائدة قبيل فاصل الكباريه ؟!

وأخذ جورج يمعن التفكير برهة ، ثم قال :

– كانت إيريس وحدها قبل الكباريه على المائدة .. وقبلها كانت روث ليسنج !

– هل تذكر آخر مرة شربت فيها زوجتك من كأسها قبل أن تشرب السم ؟!

– دعني أتذكر .. آه .. نعم .. كانت تراقص أنتوني براون ، ثم جاءت وقالت إن مراقصة انتوني متعبة لأنه راقص غريب الأطوار ، ثم شربت جرعة من كأسها .. وبعد دقائق عزفت الموسيقى رقصة الفالس ، فنهضت وراقصت روزماري ، لأنها كانت تعلم أنني لا اجيد غير رقصات الفالس .

وكان فراداي يراقص روث لبسنج ، والبـــدي الكسندرا تراقص أنتوني براون .. وهكذا بقيت إيريس وحدها .. وبعد هذا بدأ فاصل الكباريه مباشرة ..

– الان لنبحث في الاحتمالات التي تدور حول شقيقة زوجتك ، هـــل تستفيد ماليا من وفاة شقيقتها ؟

– لا تكن متسرعاً في حكمك يا عزيزي ريس .. إن إيريس مجرد طفلة ، تلميذة بالمدرسة

– أعرف تلميذتين ارتكبتا جريمتي قتل

– ولكن .. إيريس ؟ هذا مستحيل .. لقد كانت تقدس روزماري

– ولو .. لقد كانت الفرصة متاحة لها لوضع السم في كأس اختها أثناء انفرادها على المائدة .. فهل هناك ما يدفعها الى ارتكاب جريمة كهذه ؟ أعتقد ان زوجتك كانت ثرية جداً .. فهل انتقلت ثروتها اليك بصفتك زوجها .. اقرب الناس اليها ؟

– لا .. بل انتقلت إلى ايريس طبقاً لشروط الوصية

وبعد ان شرح الأمر قائلاً إن العم بول بنيت اشترط أن تنتقل الثروة كلها بعد وفاة روزماري – دون ذرية – إلى إيريس .. قال الكولونيل

– هذا وضع غريب ، مثير ، الأخت الفقيرة ، والأخت الغنية .. ان بعض الأخوات يثرن على هذا الوضع ، لا يرضين بهذا الظلم

– انا واثق أن ايريس لم تكن ثائرة ، او غاضبة ، او حاقدة

– ربما ، ولكن الباعث موجود لديها . فهل هناك احد آخر لديه أي باعث على قتلها ؟

– لا ، ابداً .. لم يكن لروزماري عدو في هذه الدنيا .. إني واثق من هذا ، وقد اشتريت هذا البيت بالقرب من آل فراداي ، لكي .

وتوقف فجأة عن الحديث ، وتناول ريس بيبته من فمه وقال

– ألا يجدر بك يا جورج ان تخبرني بكل شيء ؟

– ماذا تعني ؟

– إنك تخفي عني شيئاً .. هذا واضح جداً ، انك تحاول ان تدافع عن سمعة زوجتك ، فكيف يتفق هذا مع معرفة حقيقة مأساتها ؟

– حسناً ، سوف اصارحك بكل شيء

– ان لديك من الأسباب ما يجعلك تعتقد أن لدى زوجتك .. حبيب !؟

– نعم .

– ستيفن فراداي ؟

– أقسم لك أني لم أتأكد بعد .. قد يكون ستيفن ، وقد يكون ذلك الشخص الآخر براون ، لا أعرف على وجه التحديد ، فأنا في دوامة من العذاب

– ماذا تعرف عن أنتوني براون هذا ؟ يخيل الي اني سمعت اسمه من قبل

– لا أعرف شيئاً عنه ، ولا أحد يعرف ، انه شاب ودود مرح يقال انه أمريكي وان كانت لهجته خالية تماماً عن اللكنة الأمريكية

– لعل السفارة الأمريكية تعرف عنه شيئاً .. حسنا .. ألم تتأكد بعد أي الرجلين هو الحبيب ؟

– لا ، أبداً .. لقد رأيتها تكتب رسالة غرامية ، وقد قرأت العبارة الأولى على النشافة ولكن لم يكن بها أي اسم معين

فأشاح الكولونيل ريس بعينيه عن وجه جورج ثم قال :

– دعنا الآن نتقدم قليلاً .. فمثلاً أعتقد ان الليدي الكسندرا من نوع النساء اللاتي لا يترددن في ارتكاب اية حماقة ، جريمة .. اذا علمن ان ازواجهن يخونونهن .. ان هدوءها الظاهري يخفي عنفاً رهيباً في الانفعالات النفسية ،

والآن لدينا هذا الشخص الغامض أنتوني براون ، وستيفن فراداي ، وزوجته ، وايريس مارل ، فماذا عن روث ليسنج ؟

– ليس لروث أي شأن بالموضوع كله ، ليس هناك أي باعث يدفعها لقتل روزماري

– انها سكرتيرتك كما تقول . فأي نوع من الفتيات هي ؟

– انها أعز وأغلى شيء في حياتي ، انها تقريباً عضو في الأسرة ، انها ساعدي الأيمن ، ولست أقدر انساناً كما أقدرها هي

– أتميل اليها ؟

– اني أقدسها ، انها يا ريس فتاة مكتملة من جميع النواحي ، واني اعتمد عليها في كل شيء ، انها أعز انسان لدي في الحياة

فغمغم ريس بكلمات غامضة ولم يستطرد في الحديث مع جورج ، وانما قال لنفسه : « انها يا عزيزي الغبي قد تكون أعز انسان لديك في الوجود ، ولكن هذا لا يمنع من أن يكون الباعث على قتل روزماري متوفراً لديها .. لعلها قد أدركت ، وايقنت ، أن مكانها الطبيعي في الحياة ، هو ان تكون زوجتك .. ولن يتحقق هذا الأمل الا بإزالة روزماري من الوجود »

ثم قال الكولونيل ريس بصوت واضح النبرات

– حسناً .. لا تنس يا جورج ان لديك انت ايضاً الباعث على القتل

– انا ؟ !

– نعم .. أتذكر موقف عطيل وديدمونة ؟ الم يقتلها من فرط الغيرة برغم حبه العنيف لها ؟

– اذا كنت انا قاتلها ، فلماذا أحاول نبش الموضوع من جديد بعد أن انتهى كل شيء ؟

– لهذا السبب فاني لا أتهمك جدياً يا جورج .. فلو كنت أنت القاتل ،

واستلمت هاتين الرسالتين لأحرقتها ، وتكتمت الأمر لاسيما بعد أن قرر القاضي ان الحادث انتحار : وبهذه المناسبة ، من هو ذلك المرسل المجهول ؟

– انني لا اعرف مطلقاً

– اولاً ، ليس من المعقول ان يكون القاتل هو مرسل الخطابين . من يكون اذن ؟ احد الخدم ؟

– ربما . كل شيء محتمل

– هل كانت لروزماري وصيفة خاصة تفضي اليها بأسرارها ؟

– لا ، ان لدينا طاهية ، هي مسز باوند ، ولا تزال مقيمة معنا ، وكان لدينا خادمتان ايام روزماري ، واعتقد انها تركتا الخدمة اخيراً

– اسمع يا جورج . اذا اردت نصيحتي ، فاني انصحك بعدم الاستمرار في بحث هذا الموضوع ، فاذا كانت الأدلة غير متوافرة على انتحارها ، فهي ايضاً اقل توافراً على ارتكاب احد جريمة قتلها ، وان محاولاتك هذه للوصول الى الحقيقة لن تعيد اليها الحياة .. بل سوف تؤدي الى نشر فضائح انت في غنى عنها . يجب ان تحافظ على سمعة زوجتك ، لاسيما بعد وفاتها

فجفل جورج برهة ، ثم قال بعنف :

– اريد أن يضيع دمها هدراً . اتريد ان اترك قاتلها يستمتع بالحياة بعد ان قضى عليها وهي في اوج الشباب والجمال .. اتريد ان اترك – مثلاً – رجلاً مثل فراداي بعجرفته ونفخته يرتفع ويتألق ويتزعم الناس ، وهو ، في حقيقة امره قاتل اثيم ؟

– انني اريد ان ابين لك مساوىء الاستمرار في نبش الموضوع

– اني اريد الحقيقة

– اذن يجب ان تذهب بالرسالتين الى رجال البوليس ، وفي مقدورهم ان يصلوا الى المرسل المجهول .. ولا شك انه يعرف شيئاً عن القاتل . ولكن .. ثق ان رجال البوليس اذا شموا رائحة جريمة في هذه المساءة ، فلن

يتراجعوا حتى يصلوا الى الحقيقة كاملة مهما كانت الفضائح الشخصية التي ستنشر في الصحف

– انني لن ألجأ الى البوليس ، ولهذا اردت ان اتصل بك ، لقد رسمت خطة للايقاع بالقاتل

– ماذا تعني بحق السماء ؟

– اسمع ، انني سأقيم حفلة عشاء في « لاركسبريج » وارجو ان تحضرها .. وسيكون المدعوون اليها هم أنفسهم الذين حضروا حفلة روزماري في العام الماضي : فراداي وزوجته ، أنتوني براون ، روث ليسنج ، ايريس ، وأنا .. لقد احكمت صنع الفخ

– ماذا تنوي ان تفعل ؟!

فأرسل جورج ضحكة خفيفة وقال :

– هذا سري الخاص ، ولن افضي به الى احد – حتى انت – لكيلا تفشل الخطة ، ان نجاحها يتوقف على قوة المفاجأة وسرعتها وأثرهـــا العنيف على اعصاب القاتل ، فاذا تسرب اي جزء من السر ، انتهت الخطة بالفشل

– اسمع يا جورج .. انني لا اوافق على هذا اللعب بالنار ، ان الكشف عن الجرائم لا يتم بالمفاجآت المسرحية ، ان له رجالاً تخصصوا فيه ، وليس ادعى الى الفشل في الكشف عن غموض اية جريمة من تدخل الهواة

– هذا هو السبب الذي دفعني الى دعوتك . فأنت لست من الهواة

– اتعتقد يا عزيزي انني متخصص في الكشف عن مثل هـذا النوع من الجرائم لأنني كنت يوماما مديراً لمكتب مكافحة الجاسوسية ؟! وإذا كان الأمر كما تعتقد فلماذا لا تخبرني بتفاصيل الخطة حتى اعمل على ضوئها ؟

– لا استطيع الآن .. على الأقل

– اذن فلن احضر الحفلة ، ولن اوافق على اية خطة تضعها بغير اذن من رجال البوليس ، ويحسن ان تصرف النظر عن هذا الموضوع نهائيا

– لا .. لن اتراجع بعد ان وضعت تفاصيل الخطة ولم يبق الا التنفيذ

– كن عاقلاً يا جورج .. ان مثل هذه المفاجآت المسرحية تنطوي على خطر شديد . اذا كانت روزماري ماتت مقتولة ، فان قاتلها لن يقع بسهولة بين يديك . ان الأمر جد خطير

– سيكون خطيراً بالنسبة لشخص معين

– انك لا تدري يا جورج خطر ما تنوي ان تفعله ، حسناً ، لا تقل اني لم احذرك واني لآخر مرة انصحك بالعدول عن خطتك

ولكن جورج بارتون هز رأسه في عناد

الفصل العاشر

رسالة من الخارج

أسفر صبح اليوم الثاني من شهر نوفمبر مبللاً ملبداً بالضباب .. وكان الجو لا يقل تلبداً وانقباضاً في منزل الفاستون سكوبر عنه في الخارج .. فقد كانت لوسيلا دربك لا تقف عن الثرثرة والولولة لأن ابنها فكتور أرسل برقية من بيونس ايريس يقول فيها إنه في حاجة عاجلة الى مئة جنيه وإلا قبض عليه وأودع السجن ، ولم تهدأ الأم الجزعة إلا في حين قال جورج وهو ينهض عن مائدة الافطار انه سيطلب من روث لينسج ارسال برقية الى عميله الخاص أوجليفي ببيونس ايريس ليتحرى الأمر .. فاذا كان فكتور صادقاً ، إرسل اليه المبلغ على جناح السرعة او كلف اوجليفي بدفعه اليه فوراً .

وفيما هو يغادر البيت ، تبعته ايريس الى الباب الخارجي وقالت له :

– ألا يحسن يا جورج أن تؤجل حفلة الليلة الى موعد آخر .. فان عمتي لوسيلا تشعر بالاضطراب والقلق الشديد على ابنها ..

فاضطرم وجه جورج وقال :

– لا .. لا .. كيف نسمح لشاب مدلل فاسد الأخلاق أن يؤثر على

حياتنا ؟! على كل حال سوف أسوي هذه المسألة قبل موعد الحفلة ، اطمئني ، تأكدي أنها ستأوي الى فراشها سعيدة .. وإذا لزم الأمر فسوف نصحبها معنا الى الحفلة .

– لا .. انها تكره المطاعم والملاهي ويغلب عليها النوم اذا ذهبت اليها .

– حسناً .. اذهبي وأكدي لها انني لن اتخلى عن ابنها فكتور إكراماً لها .

واستدارت ايريس ، بعد انصرافه ، وعادت الى قاعة الطعام حيث سمعت جرس التليفون يرن ، فلما تناولت السماعة ، وانصتت الى الصوت ، تحولت أمارات القلق واليأس الى بهجة وسرور .. فقد كان المتحدث آنتوني براون ، وكان يقول :

– اسمعي يا ايريس .. انني لا أفهم لماذا يلح جورج عليّ لحضور حفلة الليلة .. ماذا يقصد ، هل أنت التي تدفعينه الى هذا الالحاح .

– لا .. لا .. أبداً

– هل غير رأيه عني ؟!

– ربما .. ربما .. !

– ماذا بك يا ايريس . اني الاحظ بعض الاضطراب في صوتك

– لا شيء .. لا شيء . ولكن أريد أن تجيبني بصراحة يا توني على هذا السؤال

– أي سؤال .. !

– هل كنت تحب روز ماري حباً حقيقياً ؟! وهل كانت تبادلك مثل هذا الحب ؟!

وصمت آنتوني برهة ، ثم قال ضاحكاً

الحقيقة يا ايريس انني أحببتها في اول الأمر ، فقد كانت ، كما تعلمين ،

باهرة الجمال ، ثم حدث ذات يوم وأنا أتحدث معها أن رأيتك تهبطين السلم ، وعندئذ أدركت فوراً انك أنت . أنت فقط الـــتي خفق لها قلبي بأطهر وأقوى وأسمى حب في الوجود ، هذه هي الحقيقة يا ايريس ، ان روميو نفسه قد أحب روزالين قبل ان يلتقي بجولييت

– شكراً يا توني ، اني الآن سعيدة

– سأراك الليلة ، انها حفلة عيد ميلادك ، أليس كذلك ؟!

– نعم ، ولكنني سأبلغ الثامنة عشرة تماماً بعد اسبوع

– حسناً ، لقد اشتريت هدية متواضعة يا ايريس ، الى اللقاء

واستدعى جورج بارتون سكرتيرته روث الى غرفته الخاصة بمكتب ادارة أعماله بعد وصوله مباشرة ، وقال لها ، بعد أن تبادل معها تحية الصباح ، وهو يطلعها على برقية فكتور دريك

– انني لن ارسل اليه هذا المبلـغ إلا بعد أن اقوم بالتحريات عنه

– أتعني إرسال برقية الى عميلنا أوجليفي في بيونس ايريس ؟!

– نعم ، ارسلي اليه برقية حالاً . فان مسز دريك شديدة القلـــق على ابنها ، انني اخشى أن تفسد علينا جو الحفلة الليلة

– هل تحب ان ابقى بجانبها لاهدىء من نفسها ؟!

– لا لا ، انني اريد ان تكوني بجانبي في هـــذه الحفلة ، فاني أعتمـــد عليك ، وعلى اخلاصك

– حسناً .. ما رأيك لو اني اتصلت تلفونياً باوجليفي وعرضت الموضـــوع كله فوراً ، اليست هي وسيلة أسهل وأسرع ؟!

– مؤكداً . مؤكد .. يا لك من ذكية بارعة يا روث

شكراً .. سوف أقوم فوراً بالاجراءات اللازمة للاتصال التليفوني

وبعد ان قام جورج بتصريف أعمـــاله العاجلة ، غادر المكتب في تمـــام

الساعة الثانية عشرة وانتقل راكباً الى اللوكسمبرج حيث استقبله المتردوتيل تشارلس قائلاً :

– لقد قمنا بجميع الترتيبات اللازمة يا مستر بارتون بناء على تعليمات ...

– هل اعددتم المائدة نفسها في نفس المكان من ركن القاعة ؟!

نعم .

– والزهور المسماة « روز ماري »

– نعم .. كان المدير يريد ان يضع معها بعض ازهار الكريزنتيوم

لا لا ، اريد فقط أزهار روز ماري

– حسناً يا سيدي ، واحب ان اعرب لـــك يا مستر بارتون عن مبلغ سرورنا جميعاً لعودتك الى اللوكسمبرج بعد الحادث المؤسف

– شكراً يا تشارلس . ان الانسان بطبيعتـــه لا يستطيع ان يعيش على الماضي ، لقد انتهى كل شيء ، والحمد لله على كل حال

وانصرف جورج من اللوكسمبرج وهو يبتسم في رضى ، ثم تناول طعـــام الغداء في ناديه الخاص ، ثم حضر اجتماع مجلس ادارة احـــدى الشركات ، وفي اثناء عودته الى المكتب عرج على تليفون عمومي ، فتحدث الى شخصية معينة ، ثم غادر التلفون وهو يتنهد في ارتياح ، ولما وصل الى المكتب ، قالت له روث :

– إن الأخبار عن فكتور دريك سيئة جداً !! إنـــه متهم بالاختلاس من اموال الشركة التي كان يعمل بها ، وقد بلغت المبالغ المختلسة مائة وخمسين جنيهاً ..

– هل قال لك اوجليفي هذا ؟!

– نعم ، فقد طلبت مكالمة تليفونيا في هذا الصباح وتمت المكالمـــة بعـــد الظهر ، ثلاث دقائق ، وقد اكد لي انه استطاع اقناع المسؤولين بالشركـــة لتأجيل استصدار امر بالقبض على فكتور حتى تصدر اليه تعليماتنا

– وماذا قلت له

ـ طلبت منه ان يدفـــع المبلغ وبسوي الأمر على ان ترسل اليه المائة وخمسين جنيهاً في اقرب فرصة

فأشرق وجه جورج بالرضى وقال :

ـ حسناً فعلت يا روث ، فليس في وسعنا الا احتمال هـــذا الابن القاصد اكراما لأمه .

ـ انك يا مستر بارتون اكرم انسان في الدنيا ، انني لم ارَ في حياتي رجلاً في كرم اخلاقك ولطف شمائلك

وأنت يا روث ؟ انت ، هل توجد في الدنيا فتاة تضارعك ذكاء ، وبراعة ، ومقدرة ، وحسن منظر

وفيما هو ينظر اليها في اعجاب يبلغ درجة الحب ، خطر بباله ان يعـــدل فجأة عن تنفيذ الخطة ، وينسى كل شيء عن روز ماري ، ولكن .. لا ، لقد حدد موعد الحفلة ، التاسعة والنصف ، فلا مفر .

الفصل الحادي عشر

الواقع في الفخ

وحضر الجميع الحفلة

وتنهد جورج بارتون في ارتياح .. فقد كان حتى آخر لحظة ، يخشى أن يتخلف أحد .. ولكنهم حضروا جميعاً . ستيفن فاراداي بنفخته وعجرفته ، وزوجته بكبريائها وتعاليها وهدوء وجهها ، وايريس ببراءتها وطهرهـــا ، وآنتوني براون بوسامته وغموضه ، وروث لبستيج بأناقتها وذكائها

اجتمعوا كلهم بالقرب من فخ جورج بارتون

وبعد قليل .. ستحدث المفاجأة

وأقبلت السيدات من غرفة الزينة ، كما حدث في الحفلة السابقة ، وجلسن مع الرجال حول المائدة المستديرة نفسها .. في نفس ركن القاعة .. الركن المحتوي على ثلاث موائد .. مائدتهم الكبيرة .. في الوسط .. واثنتان أصغر على جانبيها .. كان جالساً الى الأولى رجل في منتصف العمر تبدو عليه سمات الأجانب ، ومعه غانية شقراء .. والى الثانية شاب في ميعة الصبا وفتاة جميلة يبدو عليها بوضوح أنها خطيبته أو عروسه

ورتب جورج بلباقة أماكن جلوس مدعويه حول المـــائدة الكبيرة المستديرة ثم قال :

- ساندرا .. هل تسمحين بالجلوس هنا .. عن يميني .. ثم براون بجانبها .. أما أنت يا عزيزتي ايريس ، فهي حفلتك ، تعالي واجلسي عن يساري .. وبجانبك يجلس فراداي ثم روث

وتوقف برهة ، فقد كان بين روث وآنتوني براون مقعد خال .. مقصد لشخص سابع ومن ثم قال جورج شارحاً الأمر :

- إن الكولونيل ريس سيحضر .. ربما متأخراً عن الموعد .. وقد طلب مني ألا ننتظر طويلاً ، لأنه سوف يحضر بمجرد أن يفرغ من بعض الشواغل العاجلة . انه رجل لطيف وأحب أن أعرفكم به ، فقد طاف بمعظم أنحاء الدنيا ، وأحاديثه مثيرة ممتعة إلى حد كبير

وقطبت إيريس جبينها لأن جورج لم يجلسها بجانب آنتوني براون مباشرة ومعنى هذا أنه لا يزال يكره آنتوني ولا يثق فيه

ودارت الأحاديث العادية في مثل هذه المناسبات ، وبعد الجزء الأول من الطعام ، شرع الجميع يتراقصون على نغمات القالس .. ولما جاء دور ايريس لتراقص أنتوني ، قالت شاكية :

- إني غاضبة من جورج لأنه لم يجلسني بجانبك

- خيراً فعل ، فاني أستطيع من مكاني أن أراك أفضل مما لو كنت بجانبك

وبعد أن انتهت الرقصة عاد الى المـــائدة ، وبدأ جو التوتر المخيم على المدعوين يخف رويداً مع مرور الوقت .. ولكن الأعصاب لم تلبث أن بدأت تتوتر مرة أخرى حين رأى المدعوون جورج وهو يلقي نظرات غامضة نحو المقعد الخالي ، ثم يبتسم خفية

ورأته إيريس وهو ينظر في ساعته

وفجأة دوى في جو القاعة قرع الطبول ، وخفتت الأضواء استعداداً لفاصل

الكباريه ، وتراجعت المقاعد بعيداً عن وسط القاعة حيث تقدم للرقص ثلاثة شبان مع ثلاث فتيات .. وكانت رقصاتهم أقرب الى الألعاب البهلوانية منها الى الرقص . ويصاحبهم ضجة تحاكي الأصوات المختلفة ، فهي أصوات القطارات ، والبواخر ، والطائرات ، وماكينات الخياطة ، والثيران والبقر .. وبعد بضع ثم أخرى ، سطعت الأنوار

واطرف الجميع بعيونهم .. وتنفس في ارتياح جميع الجالسين حول مائدة جورج بارتون وكأنهم كانوا - في أعماق نفوسهم - يتوقعون أن يجدوا أحدهم جثة هامدة بعد سطوع الأنوار ، كما حدث في العام الماضي .. وخيل الى الجميع ان شبح الماضي قد انقشع إلى غير رجعة

والتفتت ساندرا باسمة الى آنتوني براون ، وتحدث ستيفن الى ايريس ، ومالت روث نحوهما لتشترك في الحديث معهما . ولم يبق غير جورج . فقد ظل جالساً يحدق النظر الى المقعد الخالي .. وكأس الشمبانيا المترع الموضوع أمامه - أمام المقعد الخالي - على المائدة ، كأنما ينتظر وصول شخص معين

ولمسته ايريس بيدها قائلة

- استيقظ يا جورج . تعال لترقص .. انك لم تراقصني الليلة بعد

ونهض في تثاقل وهو يبتسم ، ثم رفع كأسه المملوءة بالشمبانيا وقال :

لنشرب هذا النخب أولاً ، لنشرب نخب ايريس مارل بمناسبة بلوغها الثامنة عشرة ، وعسى أن يمتد بها العمر مائة عام .

وشرب الجميع جرعات من كؤوسهم ضاحكين ، ثم نهضوا جميعاً للرقص .. جورج مع ايريس . وستيفن مع روث ، وساندرا مع انتوني براون .

وكانت رقصة مرحة على نغمات الجاس

وعادوا جميعاً ، في وقت واحد ، الى المائـــدة ، ضاحكين ، وجلسوا يتبادلون الحديث .

وفجأة انحنى جورج نحو المائدة وقال :

– لدي ما أريد أن أقوله لكم .. فمنذ عام تقريباً .. كنا هنا جميعاً في حفلة انتهت بمأساة ، وأنا لا أريد أن أنبش الماضي بآلامه ، ولكني أحب فقط ألا ننسى روزماري تماماً . ولهذا أرجو ان نشرب نخب ذكراها

ورفع كأسه ، ورفع الجميع كؤوسهم طائعين .. وعاد جورج يقول :

– لنشرب نخب ذكراها .. ذكرى روزماري

وارتفعت الكؤوس إلى الشفاه

وشرب الجميع

وفجأة ترنح جورج بارتون في مقعده ، وتهالك على المائدة وهو يرفع يديه إلى عنقه كأنما يعاني من اختناق شديد . وكان وجهه مربداً .. رهيباً .. مسموماً

وما لبث أن مات بعد دقيقة على وجه التحديد

الفصل الثاني عشر

الرجل الغامض

دخل الكولونيل ريس إلى مكتب صديقه المفتش كمب بادارة اسكوتلانديارد فحياه المفتش قائلاً :

– جميل منك أن تتصل تليفونياً بنا يا كولونيل . فالواقع أننا أحوج ما نكون إلى كل مساعدة لكشف غوامض هذه الجريمة

– وجميل من إدارة اسكتلانديارد أن تعهد إلى مفتش لبق مثلك لكشف غوامض هـذه الجريمة التي يحتـاج التحقيق فيها إلى سؤال بعض أفراد من أسرة كيدرمنستر

وبعد أن تبادلا الحديث برهة في موضوع جريمة مقتـل جورج بارتون ، قال الكولونيل ريس فجأة

– انفرض أنها هي التي ارتكبت هذه الجريمة .. أعني الأولى .. ثم الثانية ..

– ليدي الكسندرا ؟ لماذا تشك في أمرها ؟

– إنني لا أشك في أحد معين الآن .. ولكنني افترض فقط .. إذا ثبت

أنها هي القاتلة أو زوجها سيفقن التمتع بنقوذ أسرة كيدمنستر ، فماذا يمكنك أن تفعل ؟

فقال كب في هدوء تام :

– إذا كان أحدهما ، أو كلاهما ، قد ارتكب هذه الجريمة ، فسوف نعلقه أو نعلقها في حبل المشنقة ، فأنت تعرف هذا ، تعرف أننا لا نخاف أو نحابي أحداً في هذه البلاد ، ولكن المهم هو أن نتأكد أولاً من توافر الأدلة والقرائن في أيدينا قبل أن توجه الاتهام إلى أحد

فأومأ الكولونيل ريس برأسه وقال :

– حسناً .. ما هي التفاصيل ؟

– لقد مات جورج بارتون بسم السيانيد . تماماً كما ماتت زوجته في العام الماضي ، وقد قلت لنا في التليفون إنك كنت موجوداً في المطعم ورأيته وهو يموت

– نعم ، لقد دعاني بارتون لحضور الحفلة ، ولكنني اعتذرت لأني لم أكن موافقاً على الخطة السرية التي وضعها للايقاع بالقاتل كما زعم لي . وقد نصحت له بالالتجاء إلى رجال البوليس إذا كان يشك في وفاة زوجته

– نعم .. هذا ما كان ينبغي أن يفعل

– ولكنه أصر على تنفيذ خطته دون أن يذكر لي تفاصيلها .. وكنت أشعر بالقلق للأمر كله ، ولهذا ذهبت إلى اللوكسمبرج في الليلة الماضية لأرقب من بعيد ما يجري في حفلة جورج .. وكنت أحرص على ألا يراني أحد من مدعويه .. ولهذا السبب كنت بعيداً عنهم فلم أر – للأسف الشديد – شيئاً أثار شكوكي .. فقد كان الجرسون والمدعوون فقط هم الذين اقتربوا من مائدته المستديرة .. لم يقترب منها شخص غريب

فقال كب :

– هذا يضيق نطاق البحث ، أليس كذلك .. لا بد أن يكون القاتل

أحدهم أو الجرسون جوزيب بلساو ، وقد استدعيته للاستجواب هذا الصباح ، ولعلك تريد أن تراه . ولكني لا أعتقد أن له يداً في هذا الحادث .. فهو يشتغل في اللوكسمبرج منذ اثنتي عشرة سنة ، وسيرته حسنة ، متزوج من سيدة انجليزية ، وله ثلاثة أبناء .. وعلاقته بجميع رواد اللوكسمبرج طيبة

– معنى هذا انه ليس أمامنا الآن إلا المدعوون

– نعم .. وهم المدعوون أنفسهم الذين حضروا حفلة العام الماضي التي انتهت بموت مسز بارتون

– وما رأيك في مأساة مسز بارتون يا كب ؟

– أعتقد أن هناك علاقة أكيدة بين الحادثتين ، وقد كان المفتش آدمز يتولى التحريات عن مقتل روزماري . وقد قررنا جميعاً أنها ماتت منتحرة لأن هذا هو التعليل الوحيد الذي لم يكن أمامنا تعليل غيره يومذاك . وهكذا حفظنا أوراق التحقيق على أنه حادث انتحار مع علامة استفهام . إن الرأي العام لا يعرف شيئاً عن علامات الاستفهام هذه ، ولكننا نضعها أمام القضايا التي لا نطمئن إلى نتائجها حتى تبقى في أذهاننا دائماً .. وذلك لكي نوالي التحريات عنها في هدوء .. وفي بعض الأحيان تثمر تحرياتنا . وفي أحيان أخرى تظل القضية على غموضها . وقد ظلت قضية مقتل روزماري على غموضها بالنسبة الينا

– حتى الآن ؟!

– نعم .. حتى الآن . لقد أرسل شخص مجهول رسالتين إلى جورج بارتون يقول له فيهما إن زوجته ماتت مقتولة .. وبدأ هو يعمل للايقاع بالقاتل . ولا شك ان القاتل قد عرف بطريقة ما أن جورج يسعى للايقاع به . وأنه بدأ يشك في أمره ، ولهذا لم يتردد في القضاء عليه .. هذا ما أراه حتى الآن تفسيراً لمقتل بارتون

– نعم .. وهو تفسير معقول إلى حد ما . ولكننا لا ندري شيئاً عن

المفاجأة التي كان يعدها جورج للايقاع بالقاتل .. لاحظت فقط وجود مقعد خال بين مقاعدهم ، ولعله كان ينتظر حضور شخص معين ، وأيا كان الأمر ، فقد أثر الفخ أكثر مما كان منتظراً .. أفزع القاتل وجعله يقضي على جورج قبل ان تحدث المفاجأة التي تكشف امره

– حسناً ، اننا نشتبه الآن في خمسة أشخاص .. وهناك ايضاً القضية الأولى . قضية مصرع روز ماري

– هل تأكدت الآن بأن ذلك الحادث لم يكن انتحاراً ؟!

– إن الجريمة الثانية تثبت أن الأولى لم تكن انتحاراً رغم جميع القرائن التي جعلتنا نعتقد ان روز ماري انتحرت

ثم صمت برهة وقال :

– ومن بين هذه القرائن التي خدعتنا ، حالة الانقباض النفسي التي أعقبت اصابتها بالأنفلونزا ، والخطاب لأختها الذي لم تتمه والذي أوضحت فيه أن ثروتها ستنتقل اليها ، و .. فشلها في الحب .. وهذا السبب لم تخبر به أحداً في جلسة التحقيق

– كأنكم تعرفون أنه كان لها مغامرة حب ؟

– نعم .. حب عنيف ، وقد عرفنا أنها كانت تلتقي بعشيقها في مسكن خاص .. سراً

– ستيفن فاراداي ؟!

– نعم .. ومن المرجح أنها اختلفا أو تخاصما او ضاق فاراداي بهذه العلاقة انها على كل حال ليست أول امرأة تنتحر بسبب فشلها في الحب

– فتنتحر بسيانيد البوتاسيوم في محل عام ؟

– لماذا لا ؟ لعلها أرادت ان تقتل نفسها بطريقة مسرحية أمام عيني حبيبها الفاجر ، والمهم في موضوع هذا الحب انها لم تكن تهتم بكتمانه ، وإنما كان هو الذي يحرص على بقائه سراً بينهما

– هل لديكم ما يثبت أن زوجته تعرف شيئاً عن هذا الحب ؟

– لا .. لا

– ولكن من المحتمل أنها تعرف دون أن يدري احد .. فهي سيدة كتوم لا تنم ملامحها عن حقيقة مشاعرها

– ربما ، وهذا يعني ان الدافع لها على ارتكاب جريمة القتل هي الغيرة .. والدافع لستيفن هو الحرص على مستقبله .. إن فضيحة كهذه لا شك تحطم مستقبله وتجلب عليه عداوة أسرة كيدرمنستر ذات النفوذ الواسع

– وماذا عن السكرتيرة .. روث ليسنج ؟

– من المحتمل جداً أنها كانت تحب جورج وتأمل في الزواج منه .. وقد علمنا أنها فصلت أمس فتاة موظفة في مكتب أعمال جورج لأنها ضبطتها تسترق السمع عليها عندما كان جورج يقول لروث إنه لا يدري ماذا كان يفعل بدونها وبدون رقابتها وبراعتها

وصمت كمب برهة قبل أن يستطرد قائلاً :

– وعندنا أيضاً إيريس .. إنها ترث عن اختها ثروة طائلة ، وهي تبدو كتلميذة بريئة .. ولكن من يدري ماذا يدور تحت براءتها الظاهرية ؟! ثم هناك هناك آنتوني براون .. هذا الصديق الغامض لروزماري

– إنني مشوق لأعرف معلوماتك عنه

– أعرف عنه القليل .. إن أوراقه الشخصية سليمة .. وهو رعية أمريكية ، ويقيم في فندق كلاريدج ، واستطاع أن يوطد علاقته باللورد ديوزبري .. ويبدو أن اللورد أحبه ودعاه للاقامة بضعة أيام في قصره أثناء فترة معينة

فقال الكولونيل ريس ببطء

– تعني أثناء الحوادث الغامضة التي وقعت خلال تجربة الدبابات الجديدة في مصانع اللورد ديوزبري ؟

نعم .. لقد شاهد آنتوني براون هذه التجارب زاعمـــاً انه خبير في صناعة الأسلحة والمعدات الحربية . وقد اكتشف المسؤولون بعد ذلك بقليل مؤامرة التخريب ، وعرف أن آنتوني هذا وطد علاقته بكثير من مهندسي مصانع الورد نيوبيري الذين اطلعوه على بعض اسرار الأسلحة الجديـدة .. وكانت النتيجة انه وقعت بعض الاضطرابات في سير العمل بالمصانع أثناء وجود آنتوني في تلك المنطقة

– إنه شخصية غامضة ، عجيبة .. آنتوني براون هذا

– نعم ، وهو متحدث بارع ، وجذاب

– ولكن ما علاقته بجورج بارتون ؟ إن أعمال جورج لم تكن لها أية صلة بصانع الأسلحة

– كانت علاقته وطيدة بروزماري ، ومن المحتمل انها عرفت بعض أسراره .. فليس أقدر من المرأة الجميلة على استدراج اي رجل للحديث عن نفسه .. وأنت يا كولونيل ريس تعرف هذا

وأومأ الكولونيل ريس برأسه ثم قال بعد فترة صمت

– وماذا عن الرسالتين المجهولتين يا كمب ؟

– لم نجد عليها غير بصمات أصابع جورج بارتون وايريس . ولم نجد على المظروف غير الوان من الأختام البريدية ، ولا شيء غير هذا

– هل عثرتم على بقايا مسحوق السيانيد عقب مصرع جورج ؟

– عثرنا على كيس ورقي صغير ابيض اللون يحتوي على آثار أملاح السيانيد تحت المائدة المستديرة التي كان يجلس اليها جورج ومدعووه . ولم نجد عليه اية آثار لبصمات أصابع

– الم يلاحظ أحد من الموجودين في المطعم ليلة امس شيئاً يثير الاشتباه

– هذا تقريباً ما بدأت به عملي اليوم في هذه القضية ، لقد سجلت في أختصار اقوال كل شخص له علاقة بالجريمة ليلة امس ، وذهبت الى منزل

الفسندون منكوير وفتشت في اوراق جورج بارتون ، وسوف اسجل اليــوم أقوال الجميع كاملة ، وكذلك اقوال الأشخاص الأربعة الذين كانوا يجلسون على مائدتين صغيرتين بالقرب من مائدة جورج ومدعويه

وبعد ان قلب صفحات أوراق امامه ، استطرد المفتش كمب قائلاً :

– كان يجلس على المائدة الأولى الشاب جيرالد تولجتون الضابط بالحرس الملكي ، وخطيبتـــه الليدي باتريشيا برايس ودهورث . وأراهن انهما كانا مشغولين بنفسيهما عن أي شيء آخر يجري قريباً منهما . وعلى المائدة الثانية المستر بدرو موربلز . رجل حســـد من الكثيرين يعيش في لندن فترة من الزمن . وكانت معه فتاة شقراء من صالات الرقص كريستين شانون .. وأراهن انها لم تكن تهتم بالنظر إلى شيء غير نقود صاحبهــا المكسيكي .. ولكنني كتبت اسماءهم وعناوينهم ، فمن يدري ، فلعل أحدهم رأى شيئاً مصادفة ، والآن .. سنبدأ باستجواب الجرسون جوزيب .. إنه موجود هنا

الفصل الثالث عشر

كريستين شانون

كان الجرسون جوزيب بلساتو رجلاً في منتصف العمر ، له وجه بشوش طيب السمات ، ولكنه كان متوتر الأعصاب وهو يجلس امام المفتش كمب للاجابة على اسئلته

وقال له المفتش كمب في رفق :

– حسناً يا جوزيب .. دعنا نسمع اقوالك بالتفصيل

– إنني لا أدري ماذا اقول يا سيدي . لقد كنت انا القائم على خدمتهم في حفلة العام الماضي ، وفي حفلة هذا العام ، ماذا يقول الناس عني الآن !! إن مدير المحل المستر جولدتسان – وهو رجل طيب كريم الأخلاق – يدرك شعور الناس الآن نحوي ، فاقترح علي ان اتغيب بضعة ايام حتى تخفت ضجيج الحادث .. لقد بدأ رواد المحل يخافون مني ويعتقدون انني احمل في جيوبي سيانيد البوتاسيوم .. ولكن الله يعلم انني بريء .. لماذا اسعى الى قتل اي انسان !! انني صديق للجميع ، وليس لي عدو واحد في هذه الدنيا !

– حسناً ، حسناً .. حدثنا عما حدث في الليلة الماضية بالنسبة لك .. هل كنت تقدم الشمبانيا

– نعم ، كان المستر جورج قد اتفق مع المتردوتيل على تقديم شمبانيا من النوع الكلاسيكية تخزين عام ١٩٢٨

– وماذا عن المقعد الخالي

– قال لي المتردوتيل مستر تشارلس ان المستر جورج اخبره بأن سيدة شابة سوف تحضر في ساعة متأخرة لتجلس على هذا المقعد

وتبادل الكولونيل ريس والمفتش كمب النظرات ، ثم قال المفتش :

– سيدة شابة ؟! اتعرف من هي !

– لا ، سمعت فقط انها ستحضر الحفلة فيما بعد

– حسناً ، اكمل حديثك عن الشمبانيا ، كم زجاجة قدمت ؟!

– اثنتان .. والثالثة كانت معدة تحت الطلب ، وفرغت الزجاجة الأولى بسرعة ، وفتحت لهم الثانية قبل فاصل الكباريه بوقت قصير .. وملأت لهم الكؤوس الكبيرة ووضعت الزجاجة في جردلها

– متى لاحظت المستر جورج بارتون وهو يشرب من كأسه في المرة قبل الأخيرة ؟!

– آه .. دعني اتذكر ، عندما انتهى فاصل الكباريه ، شرب الجميع نخب الآنسة الصغيرة ايريس ، فقد كانت الحفلة كما علمت بمناسبة عيد ميلادها ثم نهضوا للرقص ، وبعد ذلك عادوا وشربوا من كؤوسهم . وفي لحظة واحدة مات المستر جورج بارتون

– هل ملأت لهم الكؤوس اثناء انشغالهم بالرقص بعد فاصل الكباريه

لا ، كانت الكؤوس ممتلئة تماما عندما شربوا نخب الآنسة ايريس ، ولم يشربوا في هذا النخب كثيراً .. وهكذا بقيت في الكؤوس كميات كبيرة من الشمبانيا

ـ الم يقترب احد .. اي احد .. من مائدتهم اثناء انشغالهم بالرقص!

ـ لا ، مطلقاً ، إني واثق من هذا يا سيدي

ـ هل كانوا يرقصون جميعاً في وقت واحد ؟

ـ نعم ..

ـ وعادوا إلى المائدة في وقت واحد ؟

ومال جوزيب برأسه وهو يحاول ان يتذكر ، ثم قال :

ـ عاد المستر بارتون والآنسة إيريس اولاً ، ثم تبعها المستر فاراداي والآنسة الأخرى ذات الثوب الأسود الأنيق التي قيل لي انها السكرتيرة روث ليسنج . ثم الليدي فاراداي وذلك الشاب الخمري الجذاب

ـ هل تعرف المستر فاراداي ، وزوجته الليدي الكسندرا ؟

ـ نعم . رأيتهما يترددان كثيراً على اللوكسمبرج .. وهما شخصيتان معروفتان في المجتمع الراقي

ـ والآن يا جوزيب ، هل كان في مقدورك ان ترى أحدهم وهو يضع السم في كأس المستر بارتون ؟!

ـ لا اظن يا سيدي ، فقد كنت مشغولاً بالخدمة على المائدتين الأخريين ، عدا ثلاث موائد اخرى في قاعة المطعم .. ولم يكن ثمة ما يدعوني لمراقبة ما يجري على مائدة المستر بارتون ، وكان جميع من في المطعم قد نهضوا يرقصون بعد فاصل الكباريه ، وعندئذ فقط اتيح لي ان اقف وارقب ما يجري ، ولم ار احداً يقترب من مائدة المستر بارتون ، وبمجرد ان انتهى الرقص ، عدت للعمل

وأومأ كمب برأسه قائلاً :

ـ حسناً يا جوزيب .. يمكنك ان تنصرف الآن

وبعد ان اغلق الباب ، قال كمب وهو ينظر في ساعة يده :

ـ إني على موعد بفاتنة الورود كيدرمنستر في قصره في تمام الساعة الثانية عشرة والنصف . ولكن لدينا فسحة من الوقت نستطيع خلالها أن نزور أولئك الذين كانوا جالسين على المائدتين القريبتين من مائدة جورج بارتون .. هلم معي

* * *

كان المستر موريلز ، الوافد من المكسيك ، مقيماً بفندق الريتز .. ولم يكن منظره يسر أحداً في تلك الساعة من الصباح وهو بوجهه غير الحليق ، وشعره المشعث ، وعينيه الدمويتين ، ومظاهر الصداع الواضحة عليه بسبب إسرافه في الشرب في الليلة السابقة

وحاول هذا المستر موريلز أن يركز تفكيره في الأحداث التي جرت بالمطعم في الليلة السابقة ليجيب على أسئلة المفتش كمب والكولونيل ريس :

ـ لقد ذهبت مع هذه الفتاة اللعوب كريستين إلى اللوكسمبرج بعد أن أكدت لي أنه مطعم فاخر .. آه .. نعم .. كانت هناك بالقرب منا مائدة كبيرة يجلس اليها جماعة من الناس .. ولكنني لا أتذكر وجوههم .. لم أهتم بأمرهم إلا حين سقط أحدهم ميتاً .. وقد لفتت نظري فتاة جميلة بينهم كان الحزن الشديد يبدو عليها بوضوح

ـ أتقصد الفتاة التي كانت ترتدي ثوباً من المخمل الأخضر

ـ نعم ..

ـ إنها إيريس شقيقة زوجة جورج بارتون . ألم تلاحظ شيئاً آخر يا مستر موريلز ؟!

ـ لا .. ولماذا الاحظ غيري من الناس ؟

ولم يستطع كمب أن يظفر بشيء آخر .. فشكره وانصرف بعد أن

معه يقول :

– إنني مسافر إلى نيويورك غداً .. فهل تحب أن أبقى تحت أمركم بضعة أيام أخرى ؟

فقال له كب وهو يغادر غرفته :

– لا شكراً . يمكنك أن تسافر

وقال المفتش للكولونيل ريس وهو يهبط معه في المصعد :

– إن هذا المستر موريلز يريد أن يستغل هذا الحادث ليطيل مدة إقامته بضعة أيام

ولم يستطع كب أن يظفر بشيء من الشاب جيرالد تولنجتون أو خطيبته باتريشيا برايس .. فقد كانا – كما توقع – مشغولين بعواطفهما عن كل شيء .. فلما وقع الحادث أسرعا بمغادرة المطعم قبل أن تقع باتريشيا مغشياً عليها من فرط الفزع

وقال المفتش للكولونيل في الطريق :

– لم يبق أمامنا من الشهود الخارجيين إلا الغانية الشقراء كريستين شانون .

واستقبلتهما كريستين في مسكنها الأنيق الخاص ، مرحبة ، وقدمت إليهم الشراب والسجائر ، وقالت في صوت عذب :

– يسرني أن أقدم إليكما أية مساعدة ممكنة .. هلم ألقيا علي أسئلتكما

فقال المفتش كب بعد أن ألقى عليها أسئلة عادية :

– هل لاحظت شيئاً يا مس شانون عن الجالسين إلى مائدة المستر بارتون ؟

– نعم .. لاحظت الشيء الكثير

– هل تذكرين متى شرب جورج بارتون من كأسه آخر مرة قبل هذا ؟!

– نعم .. بعد فاصل الكباريه .. لقد سطعت الأنوار . ورأيته يرفع كأسه وهو يتحدث ببضع كلمات لم أسمعها طبعاً .. ثم رفع الجميع كؤوسهم ، وشربوا كما يشرب المدعوون نخب شخص معين

– وبعد ذلك ؟

– وبعد ذلك عزفت الموسيقى نغمات راقصة ، فنهض الجميع يرقصون وهم يضحكون بعد أن دفعوا مقاعدهم بعيداً عن المائدة

– هل نهضوا جميعاً .. تاركين المائدة خالية تماماً من أي شخص !

– نعم

– ولم يلمس أحد كأس المستر بارتون أثناء غيابهم عن المائدة !

– أبداً .. لم يلمسه أحد .. إني واثقة من هذا

– ولم يقترب أحد .. أي أحد .. من المائدة أثناء ابتعادهم عنها !

– لا .. لم يقترب أحد .. غير الجرسون طبعاً

– الجرسون ؟! أي جرسون ؟!

– أحد الجرسونات الصغار الذين يضعون الفوطة حول خصورهم .. إنه ليس الجرسون الذي كان يقوم على خدمتهم .. أعني الجرسون ذا الوجه الطيب والملامح المتناسبة الذي يبدو عليه أنه أجنبي .. ربما إيطالي

فأدرك المفتش أنها تعني بهذا الوصف الجرسون جوزيب بلسانو . ثم قال :

– وماذا فعل هذا الجرسون المساعد .. هل ملأ الكؤوس ؟

– لا .. إنه لم يلمس شيئاً على المائدة .. وإنما التقط من على الأرض حقيبة يد إحدى السيدات كانت قد سقطت من فوق المائدة أثناء قيامهم للرقص .

– حقيبة أية سيدة منهن ؟

– حقيبة الفتاة الصغرى ذات الثوب الأخضر .. لأن لون الحقيبة كان

الخضر ذهبياً ؛ أما الأخريات فكانت كل منها تمسك بحقيبة يد سوداء.

— وماذا فعل الجرسون بالحقيبة ؟

— رفعها من فوق الأرض وأعادها إلى المائدة .. ولا شيء غير هذا

— هل أنت واثقة بأنه لم يلمس أي كأس من الكؤوس على المائدة

— نعم .. جد واثقة .. إنه لم يلمس أي كأس ، وإنما وضع الحقيبة بسرعة على المائدة لأن واحداً من الجرسونات الكبار كان يستدعيه

— وكانت هذه هي المرة الوحيدة التي اقترب فيها أي شخص من المائدة !

— نعم

— ولكن من المحتمل طبعاً أن يكون أحد قد اقترب منها دون أن تريه !

فهزت كريستين رأسها بقوة وإصرار قائلة :

— لا .. مطلقاً .. لقد كنت عندئذ جالسة وحدي لأن بدرو كان قد قام إلى كشك التليفون ولم يكن قد عاد بعد ، وهكذا لم يكن هناك ما يشغلني ؛ وكانت المائدة الخالية أمام عيني طول الوقت

— ومن الذي أقبل عليها أولاً بعد الانتهاء من الرقص ؟

— الفتاة الصغيرة ذات الثوب الأخضر والمستر جورج . وبعدها أقبل ذلك الشاب المتعجرف والفتاة النحيلة ذات الثوب الأسود ، ثم تبعها ذلك الشاب الخمري الجذاب والسيدة الطويلة التي يبدو عليها عراقة الأصل . وأخيراً المستر بارتون على المائدة ثم رفع كأسه وتحدث ببضع كلمات كما فعل قبل الرقص ثم رفع الكأس إلى شفتيه والجميع يشربون معه كأنما يشربون نخب شخص معين .. ثم إذا به يتهالك فجأة . وكان بدرو قد حضر في تلك اللحظة ، فقلت له : « أنظر يا بدرو . يبدو أن هذا الرجل قد فقد وعيه من فرط السكر » ولم أكن أعرف في تلك اللحظة أنه فارق الحياة

وبعد أن أعاد كمب سؤال الغانية دون أن يظفر منها بمزيد من المعلومات ، غادر مسكنها مع الكولونيل ريس وهو يقول له :

هذا كل ما استطعنا أن نظفر به من الشهود الخارجيين .. لقد شرب جورج بارتون جرعة من كأسه نخب إيريس ثم نهض للرقص هو والجميع . وفي خلال الرقصة لم يلمس أحد أي كأس على المائدة بشهادة الجميع .. ومع ذلك فقد سقط الرجل مسموماً عندما عاد إلى مكانه بعد الفراغ من الرقص وشرب جرعة أخرى .. فما معنى هذا ؟ إن هذا غير ممكن الحدوث لولا أنه حدث !

ثم توقف برهة وقال :

— ذلك الجرسون المساعد .. الجرسون الصغير .. إن جوزيب لم يذكره لنا وهو يدلي بأقواله .. يجب أن أتحقق من هذا الأمر .. ذلك أن هذا الجرسون المساعد هو الشخص الوحيد الذي اقترب من المائدة أثناء غيابهم

فهز الكولونيل ريس رأسه وقال :

— لو أن الجرسون المساعد وضع شيئاً في كأس بارتون لرأته هذه الغانية كريستين ، وأنا واثق أن هذه الفتاة كانت تلاحظ كل شيء بطبيعتها

— إذن فليس هناك غير تفسير واحد للموضوع ، وهو أن بارتون هو الذي وضع السم بنفسه في الكأس

— هذا هو التفسير الوحيد .. فإذا كان قد فعل ، فلا شك أنه لم يعرف أن هذا المسحوق الذي يضعه في كأسه ، سماً

— تعني أن أحداً أعطاه المسحوق على أنه دواء للصداع أو لعسر الهضم

— نعم .. هذا محتمل

— إذن من يكون هذا الشخص ؟ ليس من المعقول أن يكون ستيفن أو زوجته

— نعم .. هذا غير معقول

— وكذلك لا يعقل أن يقبل جورج دواء لا يعرف عنه شيئاً من أنتوني براون ، أي لم يبق أمامنا غير إيريس .. و [illegible] السكرتيرة المخلصة

فأومأ كمب برأسه وقال

– إنها الشخصية الوحيدة التي يمكن أن يتناول منها أي شيء وهو مطمئن والآن .. لقد حان موعدي لمقابلة اللورد كيدمنستر وابنته الكسندرا وزوجها ستيفن .. فماذا تنوي أن تفعل يا ريس ! هل ستذهب لمقابلة إيريس مارل !

– بل سأذهب لمقابلة الأخرى .. روث ليسنج .. وربما دعوتها لطعام الغداء معي

– يحسن على كل حال ان تقابل إيريس مارل ايضاً

– سوف اقابلها ، وسأقابل ايضاً هذه السيدة الساحرة لوسيلا دريك .. فربما استطعت ان اظفر من ثرثرتها بشيء ذي بال

الفصل الرابع عشر

في قصر كيدمنستر

وافترق الرجلان ، فاستقل الكولونيل ريس سيارة مأجورة إلى مكتب جورج بارتون بالمدينة . ومضى المفتش كمب الى قصر كيدمنستر . وكان متجهم الوجه وهو يدرك حرج موقفه مع هؤلاء القوم ذوي النفوذ الواسع في السياسة انه يعرف حقا ان الجميع امام القانون سواء ، وان نفوذهم ، ايا كان ، لن يغني عنهم شيئاً إذا ثبت ، بالدليل الحاسم ، ان ستيفن فاراداي ، او زوجته هو القاتل ، ولكن كيف يكون الحال إذا كانا بريئين ، او اذا كانت القرائن غير كافية لادانتهما ؟ انه على اية حال يجب أن يكون حريصاً لبقاً في معاملته لهم ، حتى لا يثير غضبهم عليه ، ويحرج مركزه مع رؤسائه

ولكنه لم يلبث ان احس بالراحة والرضى حين وجد اللورد كيدمنستر يستقبله بنفسه في لباقة وترحاب ، وحين مضى به الى قاعة المكتبة حيث كان فاراداي وزوجته الليدي الكسندرا جالسين ، وحين قال له اللورد في رقة :

– اننا نقدر شهامتك ومروءتك يا مستر كمب لتحملك مشقة الحضور الينا بدلاً من استدعائنا الى مكتبك واثارة الأقاويل علينا .

وأعرب له كل من فراداي والكسندرا عن مثل هـذا التقـدير ، بينما استطرد اللورد قائلاً :

ـ اننا لا نخفي عنك يا مستر كمب شعورنا بالضيق والنفور من الموضوع كله ، فهذه هي ثاني مرة تحضر فيها ابنتي وزوجها حفلة تنتهي بمأساة في مكان عام ، ولا شك ان مثل هذه الأحداث بما تثيره من ضجة في الصحف تؤثر على مكانة زوج ابنتي امام الرأي العام .. ولهذا فاننا جد مشوقين الى تقديم كل مساعدة لك حتى تنجح في كشف غوامض هذه الأحداث المريبة

ـ شكراً يا لورد كيدرمنستر . إنني أقـدر موقفك الطيب من هـذا الموضوع ، ولا شك انك بهذا الشعور تيسّر مهمتي كل التيسير

وقالت ساندرا فراداي :

ـ يمكنك يا مستر كمب أن توجه إلينا كل ما تريد من أسئلة

ـ شكراً يا ليدي الكسندرا

فقال اللورد بسرعة :

ـ لحظة واحدة يا مستر كمب ، لقد بلغني من صديقي مدير البوليس أن الاتجاه العام يميل الى اعتبار مقتل هذا الرجل جورج بارتون حادث انتحار .. أم تقولي هذا يا عزيزتي ساندرا ، أليس هذا هو رأيك أيضاً ؟

ـ نعم .. إنني اعتقد أن الرجل المسكين قرر أن ينتحر بنفس الطريقة التي انتحرت بها زوجته الحبيبة ، وقد لاحظت أثناء إقامته بجوارنا في منزله لنبل براير انه كان غريب الاطوار ، كثير الذهول ، قليل الاختلاط بالناس ، محزون الوجه دائماً . ولا شك أن وفاة زوجته المفاجىء قد هز أعصابـه ، فانتحر أخيراً ، وإلا ، فلماذا يريد أي انسان أن يقتله . لماذا ؟!

وأسرع فراداي يقول :

ـ نعم هذا رأيي أيضاً ، فقد كان جورج بارتون رجلاً صالحاً . بشهادة الجميع .. لم يكن له أي أعداء على الاطلاق

ونظر المفتش كمب الى الوجوه المتسائلة ثم قال لنفسه : يحسن أن أحمل عليهم الآن بأسئلتي ، ثم قال بصوت هادىء واضح النبرات :

ـ انني اتفق معكم في هذا الرأي .. ولكن هناك بعض الحقائق التي يحتمل أن تكون غائبة عنكم الآن

فقال اللورد كيدرمنستر

ـ نعم .. نعم .. ومن واجبك أن تكشف عن جميع الحقائق المحيطة بهذا الموضوع .

ـ شكراً يا سيدي اللورد . إن من بين هذه الحقائق التي لا تعرفونها أن المستر بارتون ، قبل وفاته ، أعرب لشخصين عن اعتقـاده بأن زوجتـه لم تنتحر ـ كما ظننا جميعاً ـ وإنما قتلت بالسم على يد شخص مجهول ، وكان يظن في الاسابيع الأخيرة انه امسك بطرف الخيط الذي سيرشده الى القاتـل .. وكانت حفلة العشاء في الليلة الماضية التي زعم انه أقامها تكريما لإيريس شقيقة زوجته بمناسبة بلوغها الثامنة عشرة ، لم تكن في الواقع إلا فخـاً نصبه آملاً الإيقاع بقاتل زوجته .

وصمت كمب برهة وهو يشعر ، مجرد شعور ، بنوع من الاشياء الذي بدا في عيون الثلاثة الجالسين أمامه .. أما وجوههم فقد ظلت جامدة لا تعبر عن شيء مما يدور بنفوسهم

وكان اللورد كيدرمنستر أول من قطع حبل الصمت ، فقال :

ـ ولكن اعتقاد المسكين بارتون بأن زوجتـه قتلت دليل أكيد على انـه لم يكن في حالة عقلية ونفسية طبيعية .. ولعل حزنه المستمر على زوجته قد أثر على قواه العقلية

وقال ستيفن فراداي في شيء من الحدة :

ـ كيف خطر ببال جورج بارتون ان زوجتـه ماتت مقتولة مع انهـا ماتت منتحرة كما دلت جميع الشواهد

– ربما .. ولكن .. هل تسمحون لي بتوجيه بعض الاسئلة إليكم الآن .. ولأبدأ بالليدي الكسندرا

فقالت ساندرا بسرعة :

– بلا شك سل ما تشاء وإن كنت مصرة على اعتقادي بأن كلا من روز ماري وزوجها مات منتحراً

– هل أرسل اليك شخص مجهول رسائل بلا توقيع في خلال هذا العام بالبدي الكسندرا .

– رسائل بلا توقيع ؟! لا .. مطلقاً

– هل انت واثقة ؟! إن هذه الرسائل فعلاً عمل سخيف ، والناس المحترمون عادة يتجاهلونها ويلقون بها الى النار دون أن يفكروا لحظة في محتوياتها . ولكن لهذه الرسائل دوراً كبيراً في قضيتنا . ولهذا تجدينني مهتماً كل الاهتمام بمعرفة ما إذا كان أحد أرسل إليك بعض هذه الرسائل المجهولة !

– إنني افهم ما تعني ، ولكني أوكد لك انني لم اتلق رسائل بلا توقيع ،

– حسنا جداً .. والآن .. لقد قلت إن المستر بارتون كان غريب الاطوار في الأشهر الاخيرة !

– نعم .. كان هذا بادياً عليه بوضوح .. كان متوتر الاعصاب ، مكتئب الوجه ، وكأنه مريض

– وماذا كان شعوره نحوك ونحو زوجك المستر فراداي ؟

– كان ودوداً جداً .. وليس أدل على ذلك من انه اشترى بيته الريفي في مكان جد قريب من مزرعتنا فيرهافن .. وقد اعرب لنا كثيراً عن اعترافه بالجميل حين قمنا بتعريفه الى الجيران القريبين منه . وأعتقد أنه كان لطيفاً جداً .. لا سيما أخت زوجته ، إيريس ، فهي فتاة على جانب كبير من الرقة واتزان التفكير

– هل كانت مسز بارتون ، أي روز ماري صديقة حميمة لك يا ليدي

الكسندرا ؟

– الواقع انها لم تكن صديقتي أنا .. وإنما كانت صديقة ستيفن فراداي الأكثر ، فقد اهتمت فجأة بالشؤون السياسية ، وتولى ستيفن تعليمها فن السياسة ، ولا شك انها كانت مهمة ممتعة بالنسبة له ، فان روز ماري كانت فاتنة ..

وقال كمب لنفسه ، وأنت ذكية بلا شك بارعة .. ومن المرجح انك تعرفين شيئاً عن حقيقة علاقة زوجك بروز ماري ،

وعاد يسأل بصوته الهادىء الواضح :

– ألم يخبرك المستر بارتون أبداً عن رأيه بأن زوجته لم تمت منتحرة ؟!

– لا .. أبداً .. وهذا في الواقع ما ادهشني الآن

– ومس مارل .. أعني ايريس .. ألم تتحدث اليك يوماً عن وفاة أختها؟!

– لا .. مطلقاً

– هل تعلمين شيئاً عن السبب في شراء جورج بارتون لبيته الريفي بالقرب من مزرعتك ؟ هل اقترحت عليه ، أنت او زوجك ، شراء هذا البيت ؟!

– لا . لقد كانت مفاجأة لنا

– وهل كان دائماً على مودة معكم ؟!

– جداً

– وماذا تعرفين يا ليدي الكسندرا عن المستر آنتوني براون

– إنني لا أعرف عنه شيئاً ، كل ما في الأمر اني التقيت به في بعض المناسبات ..

– وماذا تعرف عنه يا مستر فراداي ؟!

– أقل مما تعرفه زوجتي .. فهي ، على الاقل ، قد راقصته .. وظني انه شاب امريكي مهذب

– ألم تلاحظ أنه كان على علاقة خاصة بروز ماري قبل وفاتها !؟

ـ لا .. لم ألاحظ أي شيء من هذا القبيل يا مستر كمب

ـ ألم يكونا صديقين !

ـ نعم ، ولكن الصداقة شيء ، والعلاقة الخاصة التي تسأل عنها يا مستر كمب ، شيء آخر .

ـ وأنت بالليدي الكسندرا ؟

ـ أعتقد أنهما كانا صديقين حميمين ، وأنت تفهم ما اعني .. وقد عرفت هذه الحقيقة من الطريقة التي كانا يتبادلان بها النظر .. ولكن ليس لدي أي دليل حاسم .

فابتسم كمب وأومأ برأسه ثم قال :

ـ ماذا تعرفين عن روث ليستنج ، سكرتيرة المستر بارتون ؟

ـ انني لا أكاد أعرف عنها شيئاً يا مستر كمب .. لقد التقيت بها مرة أو مرتين قبل وفاة مستر بارتون .. كما رأيتها بضع مرات أثناء اقامة المستر بارتون في منزله الريفي .

ـ هل يمكن أن أسألك عن رأيك في مدى علاقة مس ليستنج بمخدومها المستر بارتون ؟!

ـ إنني في الواقع لا أدري أكثر من انها سكرتيرة ناجحة

ـ حسناً .. لنتحدث الآن عما حدث في الليلة الماضية

. . .

وبعد بضعة أسئلة وجهها اليها والى زوجها ستيفن فراداي ، لم يظفر منهما بشيء أكثر مما عرفه عن الحادث .. لقد أكدا له ان جورج بارتون طلب من الجميع أن يشربوا معه نخب ايريس مارل ، ثم نهضوا تاركين الكؤوس بمائدة إلا قليلاً ، وراحوا يرقصون جميعاً ، دون أن يتخلف أحد على المائدة ، أو يقترب

أحدهم منها ، ثم عادوا ، بعد انتهاء الرقصة ، اليها .. جورج وايريس أولاً ، ثم روث ليستنج وستيفن فراداي ، ثم أنتوني براون والليدي الكسندرا .

وبعد أن جلسوا جميعاً ، طلب جورج بارتون منهم أن يشربوا معه نخب ذكرى روز ماري . وما أن شرب جرعة من كأسه ، حتى تهالك في مقعده ، ثم إذا هو يلفظ انفاسه الأخيرة في لحظات

وأخيراً أغلق المفتش كمب مفكرته ، ونهض قائلاً وهو يستأذن في الانصراف :

ـ إنني أشكر لكم هذه الروح الطيبة في معاونتكم لي

وقال اللورد :

ـ هل يتحتم على ابنتي أن تحضر جلسة التحقيق ؟!

ان جلسة التحقيق الأولى ستقتصر على الاجراءات العادية للتعرف على شخصية القتيل رسمياً ، والاطلاع على نتيجة تشريح الجثة .. ثم تؤجل الجلسة للأسبوع التالي :

وتوقف المفتش كمب برهة ، قبل أن يردف قائلاً بلهجة تأكيد :

وفي خلال هذا الاسبوع ستتكشف لنا ، حتماً ، بعض الحقائق الغامضة الآن .

ثم التفت الى ستيفن فراداي وقال :

ـ بهذه المناسبة أرجو ، إذا لم يكن لديك مانع يا مستر فراداي ، ان تشرفني بالزيارة في مكتبي بسكتلانديارد لأتحدث معك في موضوع بسيط .. ولا داعي لأن تتعب الليدي الكسندرا نفسها بالحضور معك . ويمكنك أن تحدد الوقت المناسب بالتليفون ، فأنا أعرف انك رجل كثير المشاغل .

ورغم هدوء صوت كمب ورقته وهو يلقي بهذه العبارات ، فان أحداً لم يخطئ فهم معناها الحقيقي .. فقد ادرك الجميع أن كمب يريد أن يتحدث

الى ستيفن في مسألة خاصة لا يجوز أن تنصت اليها زوجته . واستطاع ستيفن أن يقول في هدوء مماثل :

– مؤكد يا مستر كمب .. والآن .. يجب أن أسرع بالذهاب الى مجلس العموم ..

وبعد انصراف كل من ستيفن والمفتش ، سأل اللورد كيدرمنستر ابنته في صراحة قائلاً :

– هل كان لزوجك علاقة خاصة بتلك السيدة ؟

وترددت ساندرا برهة قبل أن تقول :

– طبعاً لا .. لو كان ثمة علاقة خاصة بينهما لعلمت بها ، وليس ستيفن من هذا النوع !

– اسمعي يا عزيزتي .. لا داعي لأن تكوني كالفرس الحرون العنيدة .. ان مثل هذه العلاقات لا بد أن تعرف يوماً .. وأريد الآن أن أحدد موقفنا من الأمر كله .

– كانت روز ماري صديقة خاصة لذلك الشاب أنتوني براون .. كانا يشاهدان معاً في أماكن كثيرة .

– حسناً . انت أدرى

وكان يبدو على وجهه بوضوح ، وهو ينصرف عن ابنته ، انه لا يصدقها .

ومضى في طريقه الى زوجته التي تحاشى حضورها أثناء وجود المفتش كمب حتى لا تعقد الأمور بكبريائها

وقالت الليدي كيدرمنستر حين أقبل عليها زوجها :

– حسناً . كيف الحال ؟!

– الحال ، في ظاهرة ، لا بأس به .. فقد كان المفتش كمب لبقاً رقيقاً يدرك حرج مركزه بالنسبة الينا . ولكني لست راضياً عن امرأته في هذا المناسبة الرقيقة .. فانها تخفي أمراً خطيراً .

– إذن فالأمر خطير !

– نعم .. جد خطير . ما كان ينبغي أن نترك ساندرا تتزوج بهذا الشاب ستيفن .

– هكذا كان رأيي منذ اللحظة الأولى

– حسناً ، إنها زوجته وانتهى الامر ،فما كان في مقدورنا أن نثنى ساندرا عن هذا الزواج . كان لقاؤها بستيفن كارثة ، فنحن لا نعرف عن أصله وفصله شيئاً ، أي لا نعرف كيف يتصرف شخص كهذا في اوقات المحن .

– هل تعني اننا .. اننا زوجنا ابنتنا . بقاتل ؟!

– إنني لا ادري ، ولا اريد ان اظلمه بسوء الظن . ولكن هذا هو رأي البوليس فيه .. ورجال البوليس على مكر شديد ، ويبدو انه كان على علاقة خاصة بتلك السيدة روز ماري ، فهذا واضح جداً . فاما انها انتحرت بسببه أو انه .. حسناً . أياً كان الامر ، فان جورج بارتون عرف السر وقرر أن يثيرها فضيحة مدوية ، وأعتقد ان ستيفن لم يستطع مواجهة مثل هذه الفضيحة . فعمل على تلافيها

– أي دس السم في كأس بارتون ؟!

– نعم

– إنني لا أتفق معك في هذا الرأي

– أرجو ان تكوني على صواب . ولكن شخصاً ما سم جورج بارتون .

– إذا اردت ان تعرف رأيي ، فاني لا اعتقد ان لستيفن الجرأة على ارتكاب هذه الجريمة .

– انه جد مهتم بمستقبله ، وان له ، كما تعلمين ، مواهب عظيمة تتيح له النجاح في عالم السياسة . وشخص كهذا قد يرتكب اية جريمة يضطر اليها حرصاً على مستقبله .

– لا ، لا ، إن ارتكاب هذه الجريمة يحتاج الى أعصاب خاصة ، الى ثبات

ومغامرة عجيبة ؟ انني جد خائفة يا عزيزي ، جد خائفة

فحدق النظر اليها وقال في دهشة

– هل تعنين ان ساندرا هي .. هي ؟!

– انني لا أطيق مجرد التفكير في هذا الاحتمال .. ولكن .. لا يجوز أن نجبن عن مواجهة كل الاحتمالات .. فليس لدينا أي شك في انها متيمة متفانية في حب زوجها .. ولساندرا طباع غريبة لم أفهمها منذ طفولتها ، ولكنني كنت أعرف انها لا تتردد في أن تعمل أي شيء ، أي شيء للدفاع عن رغباتها ، وهي أيضاً لن تتردد في ارتكاب أي شيء من اجل معشوقها دون ان تبالي بالنتائج .. فإذا كان قد بلغ بها الشر هذا الحد ، فان واجبنا أن نحميها بأي ثمن .

– نحميها ؟! ماذا تعنين ؟! .

– نحميها أنت .. تحمي ابنتك .. ومن حسن الحظ أن في مقدورك حمايتها بما لك من نفوذ .

فنظر اللورد كيدرمنستر الى زوجته في دهشة وكأنما يراها لأول مرة ، ثم قال :

– إذا ثبت أن ابنتي قاتلة ، فيجب ان تأخذ العدالة مجراها .. هذا ما يقتضيه الشرف .

– شرف ؟! كلام فارغ !

فراح كل منهما يحدق النظر في صاحبه برهة دون أن يدرك حقيقة مشاعره . وأخيراً قال اللورد :

– كيف تريدين مني أن اخالف ضميري ومبادئي وأحاول ان اخدع الرأي العام وأعبث بالعدالة ؟

– إسمع .. إذا قبض على ساندرا وقدمت للمحاكمة ، فهل ستتردد في توكيل ابرع المحامين للدفاع عنها واثبات براءتها مهما توافرت الأدلة على

إدانتها ؟!

– هذه مسألة تختلف كل الاختلاف .. إن محاولة تبرئتها بالدفاع شيء ، وحمايتها من يد العدالة بقوة النفوذ شيء آخر .

وصمتت الليدي كيدرمنستر برهة .. حقاً لقد كانت ساندرا أقل بناتها قربا اليها ولكنها هي على كل حال ابنتها .. وانها – كأم – لن تتردد في الدفاع عنها وحمايتها الى آخر نقطة من عمرها .. مستعينة بوسائل مشروعة او غير مشروعة على السواء .

وأخيراً قال اللورد كيدرمنستر :

– على كل حال لن يجرؤوا على تقديم ساندرا للمحاكمة إلا إذا توافرت لديهم الأدلة الحاسمة القاطعة على ادانتها ، وأنا ، كإنسان ، أرفض الاعتقاد بأن تكون لي ابنة قاتلة .. انني مدهوش كيف تخطر ببالك فكرة كهذه .

ولم تقل الليدي شيئاً

وهز اللورد رأسه في دهشة .. فما كان ينتظر يوماً أن يسمع مثل هذه الآراء الشاذة من زوجته ، زوجته التي عاش معها كل هذه السنوات دون أن يعرف حقيقة ما يدور في اعماق نفسها .

ترى هل الزوج الوحيد ، ام هكذا جميع الازواج

ومرة أخرى هز اللورد رأسه في دهشة

الفصل الخامس عشر

روث تخفي شيئاً

كانت روث ليسنج مشغولة بعدد كبير من الاوراق على مكتبها الكبير حين اقبل الكولونيل ريس اليها .

وبعد أن اوضح لها المهمة التي جاء من أجلها ، قالت :

– يسرني أنك حضرت يا كولونيل ريس .. وأنا أعرف من انت .. فقد كان المستر بارتون يتوقع حضورك أمس ، في الحفلة ، أليس كذلك ؟

– هل قال هذا قبل ليلة أمس ؟!

– لا .. قال انه يتوقع حضورك ونحن نجلس الى المائدة بالترتيب . آه .. لشد ما أشعر بالذهول بسبب كل ما حدث

– ومع ذلك فقد جئت للعمل هذا الصباح !

– نعم ، هذا واجبي .. وهناك الكثير مما ينبغي أن نرتبه وننظمه

– كثيراً ما حدثني جورج عن كفاءتك ومبلغ اعتماده عليك

وأحنت روث رأسها ، وبدا عليها كأنها توشك على البكاء . وأخيراً

قالت :

– لقد اشتغلت معه ثمانية اعوام .. وقد عرفت الشيء الكثير من عاداته وطباعه ، واعتقد انه كان شديد الثقة بي

– أنا واثق من هذا

ثم اردف قائلاً :

– لقد حان موعد تناول الغداء ، فهل تقبلين دعوتي للطعام في مكان هادىء .. فان لدي الكثير من الاسئلة التي اريد أن تتكرمي بالاجابة عليها .

فوافقت في غير تردد ، ومضيا الى مطعم صغير أنيق ، وجلسا الى مائدة منعزلة عن بقية الرواد حتى لا يسمع أحاديثهما أحد . ثم اخذا يتبادلان الحديث العادي حتى أحضر الخادم ألوان الطعام المطلوبة . وأخيراً قالت :

– لقد تحدثت أمس ، بعد الحادث ، مع المفتش كمب ، وهو يبدو رجل مجرب ذكي .. ولكن هل تعتقد يا كولونيل ريس أن المستر بارتون .. مات .. مقتولاً ؟!

– هل أخبرك كمب بهذا ؟

– لا .. إنه لم يخبرنا بشيء ، وإنما كانت أسئلته تنم عن هذا الاعتقاد

– في مقدورك يا مس ليسنج أن تساعدينا كثيراً على معرفة الحقيقة .. فقد كنت وثيقة الاتصال بالمستر بارتون .. وكنت كذلك بين المدعوين إلى حفلة أمس .. فما رأيك عنه ؟ كيف كانت احواله ؟ هل كان في حالة طبيعية أم كان مضطرباً .. مهتاجاً .. عصبياً ؟!

– الواقع انه كان مضطرباً .. وعصبياً .. ولكن هناك من الأسباب ما يبرر هذا

ثم ذكرت له شيئاً عن برقية الشاب الفاسد فكتور دريك ، واضطراب جورج بارتون بشأنها خشية أن تكون سبباً في تأجيل الحفلة ، وكيف تصرفت

في بسرعة ووضعت الأمور في نصابها ، وعندئذ قال الكولونيل :

– هه .. الابن القاصد في الأسرة .. الشاة السوداء في القطيع الأبيض !

– نعم .. ولكني لا أعتقد أن مسألة دريك هي السبب الرئيسي لاضطراب جورج ، فما كانت تلك أول مرة يطلب فيها دريك نقوداً .. فقد حدث في العام الماضي ان كان دريك هنا ، وكان في مأزق شديد ، فلم يسعنا إلا ان نرحله بالبحر الى امريكا الجنوبية ومن هذا تعلم أنني اعرف الكثير عن متاعب المستر بارتون ومواقفه منها .. وأعتقد ان استياءه هذه المرة نشأ من وصول برقية دريك في نفس يوم الحفلة .. وكان مشغولاً بالاستعداد لها .. ويبدو أنه كان مهتما بها اشد الاهتمام ، فساءه ان ينشغل عنها بشيء آخر

– ألم تشعري بأن وراء هذه الحفلة هدفاً غامضاً يا مس ليسنج !

– الم تشعري ان لهذه الحفلة معنى خاصاً .. فقد كان منفعلاً بسببها كالطفل المشرف على الامتحان

– ألم يخطر ببالك نوع هذا الهدف الذي كان يسعى اليه من إقامة هذه الحفلة ؟

– هل تعني انها كانت صورة كاملة لحفلة العام الماضي التي انتهت بموت مسز بارتون ؟

– نعم

– لقد فكرت في هذا .. فعلا

– الم يخبرك جورج بالسبب الحقيقي لإقامة هذه الحفلة ؟

– لا ، مطلقاً .. قال فقط إنها تكريم لايريس بمناسبة بلوغها الثامنة عشرة

– إسمعي يا مس ليسنج .. ألم يخامرك الشك أبداً في أن روزماري لم تمت منتحرة

– أوه .. لا .. لا

الم يذكر لك جورج أنه كان يعتقد أن زوجته ماتت مقتولة ؟

– أكان جورج يعتقد هذا ؟!

– أرى بوضوح إن هذه أخباراً جديدة عليك ! حسناً .. تلقى جورج رسالتين بلا توقيع تخبرانه أن زوجته لم تنتحر .. وإنما ماتت مسممة

– إذن فهذا هو سبب اضطرابه وشذوذ تصرفاته طوال موسم الصيف ، إنني لم أكن أعرف السبب

– الم يخبرك بشيء عن هاتين الرسالتين ؟

لا .. أبداً

وبعد أن اطلعها الكولونيل ريس على الرسالتين ، قال :

– والآن .. ما رأيك يا مس ليسنج ؟ هل هناك اي احتمال في أن جورج قتل نفسه ؟

– لا .. لا .. هذا غير معقول الآن

– ولكنك قلت إنه كان مضطربا

– نعم .. كان مضطرباً منذ بضعة أشهر ، وقد أدركت الآن سر اضطرابه . وادركت ايضاً سر انفعاله بسبب حفلة الأمس ، لا شك أنه كان يتوقع أن يهتدي عن طريقها إلى شيء .. الى بعض المعلومات التي تكشف له عن سر مقتل زوجته .. ولكن المسكين كان الضحية

– وما رأيك يا مس ليسنج عن مقتل روز ماري .. الا زلت تعتقدين أنها ماتت منتحرة ؟

– لم يخطر ببالي أبداً شيء غير هذا .. فهذا هو الوضع الطبيعي !

– حالة انقباض نفسي بعد الأنفلونزا ؟

لا شك أن هناك سبباً أقوى من هذا .. فقد كانت روزماري شقية يائسة في أواخر ايامها

هل استنتجت هذا السبب ؟

– حسناً .. نعم .. إن مثيلات روز ماري مقلقات النفوس دائماً . لا يعرفن كيف يخفين مشاعرهن الحقيقية ، ولكن المستر جورج بارتون ، لحسن الحظ ، لم يلاحظ شيئاً ، نعم .. كانت بائسة جداً في تلك الأيام .. وكانت تشعر بصداع قبيل الحفلة ، فضلاً عن سوء صحتها بعد الأنفلونزا

– كيف عرفت انها كانت تشعر بصداع ؟

– لقد سمعتها تقول لليدي الكسندرا في غرفة الزينة بالمطعم أنها تتمنى لو كان معها برشامة مسكنة .. ومن حسن الحظ كان مع ليدي الكسندرا برشامة ، فأعطتها لها

فنظر الكولونيل ريس إلى روث في دهشة وقال :

– وهل أخذتها روز ماري .. فعلاً ؟

– نعم

وصمت الكولونيل برهة وهو يفكر في هذا الأمر الخطير .. ولم يكن يبدو على روث أنها تدرك دلالة اقوالها . ولكن هذه الأقوال ، بالنسبة للكولونيل ، كانت تدل على شيء خطير ، فقد كان موضع الليدي الكسندرا من المائدة أبعد ما يكون عن روز ماري . اي انها كانت آخر من يستطيع أن يدس السم في كأسها دون أن يراها أحد .. اما الآن . فقد وضح الأمر بعض الوضوح .. فمن المحتمل جداً أن يكون غلاف البرشامة من مادة نشوية أو جلاتينية خاصة تذوب في الشمبانيا دون أن تترك أثراً .. او لعل روزماري ابتلعتها أثناء انخفاض الأنوار في فاصل الكباريه وشربت وراءها بعض الشمبانيا

وقال فجأة :

– هل رأيتها بنفسك وهي تأخذها ؟

– الواقع .. انني .. انني .. لم أرها تماماً . وإنما سمعتها وهي تشكر الليدي الكسندرا

ثم اردفت تسأل في دهشة وقد تألقت عيناها بالحذر :

– ولكن .. لماذا توجه هذا السؤال الي ؟

ويبدو أنها أدركت أخيراً ما كان يدور بذهن الكولونيل ، فقالت :

– أوه .. لقد فهمت الآن .. فهمت لماذا اشترى ذلك البيت الريفي بالقرب من مزرعة فاراداي وزوجته . فهمت لماذا لم يخبرني بأمر الرسالتين المجهولتين ، لقد كان جورج يعتقد ان واحداً منا ، نحن الخمسة ، هو قاتل زوجته ولعله كان يشك في امري ايضاً . فمن يدري !

فقال ريس في صوت رقيق جداً

– هل هناك أي سبب يدفعك إلى قتل روز ماري؟

وخيل اليه أنها لم تسمع السؤال في اول الأمر فقد اطرقت برأسها برهة ، ثم تنهدت ، ورفعت رجهها وقالت بهدوء

– إنه موضوع لا يحب الانسان عادة ان يخوض فيه . ولكن اعتقد أنه ينبغي أن تعرف الحقيقة .. نعم كنت أحب جورج بارتون حتى قبل أن يلتقي بروزماري . ولا اعتقد انه كان يعرف شيئاً عن شعوري نحوه . والواقع انه لم يكن يهتم بأمري من هذه الناحية ، حقاً كان يميل إليّ ، ويمزني ولا يطيق الاستغناء عني ، ولكن على أساس انني سكرتيرة بارعة أو صديقة مخلصة . ولا شيء غير هذا ، وكنت افكر دائماً في أنني اصلح ما أكون زوجة له .. كنت اعتقد انني اقدر على إسعاده من غيري .. ولكنه احب روزماري ولم يسعد

– وكنت بطبيعة الحال تكرهين روزماري ؟

– نعم .. كنت اكرهها .. كانت جميلة جداً ، جذابة جداً ، في مقدورها أن تكون لطيفة جداً ايضاً . ولكنها لم تكن هكذا معي .. كانت تعاملني على أني قطعة من اثاث مكتب جورج .. نعم كنت أكرهها بقوة . وقد صدمت بوفاتها .. بطريقة موتها .. ولكنني لم أحزن .. بل لعلي فرحت

وصمتت برهة قبل أن تردف قائلة :

– هل يمكن ان نتحدث في موضوع آخر ؟

فقال الكولونيل بسرعة :

– أحب فقط ان تذكري لي بالتفاصيل ، وفي دقة بالغة ، كل ما تتذكرينه عن يوم أمس منذ الصباح .. لاسيما ما فعله وقاله جورج

فأجابت روث بسرعة ، وتحدثت عن استياء جورج من برقية دريك ، وعن اتصالها التليفوني بأمريكا الجنوبية ، وترتيباتها التي سرت جورج في النهاية ، ثم وصولها إلى الوكسمبرج ، وانفعالات جورج وهو يقوم بدور المضيف في الحفلة ، وظلت في حديثها حتى وصلت إلى آخر لحظة من المأساة . وكانت أقوالها لا تختلف في شيء عما عرفه الكولونيل ريس والمفتش كمب عن الحادث

وانتهت بقولها في حيرة وارتباك

– إن الحادث ليس انتحاراً .. وهو ايضاً لا يمكن أن يكون جريمة قتل ارتكبها واحد منا نحن المدعوين ، فقد كنا جميعاً بعيداً عن المائدة حين تسمم الكأس .. إذن لا شك أن شخصاً ما اقترب في غفلة من الجميع ووضع السم في كأس جورج .. ولكن من هو ؟ ولماذا ؟ انني لا أدري

– لقد ثبت ان أحداً .. أي أحد .. لم يقترب من المائدة أثنـــاء ابتعادكم عنها

– إذن .. كيف وصل سم السيانيد إلى كأس جورج ؟

– أليست لديك اية فكرة ، او اي شك عمن قد يكون وضع السيانيد في كأس جورج ! حاولي ان تتذكري .. تذكري أية حادثة ولو بسيطة ..

ورأى وجهها يتغير فجأة ، ولاحظ التردد الذي بدا في عينيها برهة خاطفة ومرت لحظة دقيقة ، حاسمة ، قبل ان تقول :

– لا شيء .. لا شيء

ولكنه كان واثقاً انها رأت شيئاً وتأبى ان تذكره لسبب ما

ولم يحاول ان يضغط عليها ، فقد كان يعرف انها من النوع الذي لا يخضع للضغط ، فاذا كانت قد قررت ، لسبب ما ، الا تصرح بما لديها ، فلن تكون ثمة فائدة في محاولة ثنيها عن هذا القرار

ولكن هناك شيئاً على كل حال ! ترى هــل يمكن أن تكون روث هي الجانية ، لماذا لا ؟ الم تقل بصراحة انها كانت تكره روزماري أشد الكراهية

لا لا ، هذا غير معقول ، إن ارتكاب هذه الجرائم يحتـــاج الى أعصاب حديدية ، وتدبير محكم .. وما روث ليست إلا فتاة .. قد تكون بارعة قديرة كسكرتيرة ، ولكن ليس من المحتمل ، هكذا فكر الكولونيل ان تكون قاتلة

الفصل السادس عشر

حديث عن الارواح

وسرت لوسيلا دريك حين جاء الكولونيل ريس لزيارتها

واستقبلته في غرفة الجلوس ، ولم تلبث ، كالمعتاد ، أن اندفعت في ثرثرتها ، وفي أحاديثها المتصلة بعضها ببعض . فتحدثت عما ينبغي اتخاذه من ترتيبات لجنازة الصهر جورج بارتون ، وعما سيجري في جلسة التحقيق ، وعن تفتيش رجال البوليس لمنزل القتيل ، وعن الايحاء الذي جعل المسكين جورج يقيم هذه الحفلة في اللوكسمبرج .. فلا شك ان هذه الحفلة نتيجة إيحاء – هكذا قالت – كما يؤكد علماء النفس .. ثم انتقلت إلى الحديث عن ابنها فكتور دريك – المسكين – الذي يقيم في الأرجنتين . وبعد ثلث ساعة من الحديث عن فكتور ، انتقلت إلى موضوع الخدم ، فقالت إن خدم أيام زمان لم يعد لهم وجود ، وان خدم هذه الأيام اصبحوا مهملين لا يصلحون لأي عمل ، هذا إلى الفاظهم النابية وأحاديثهم البذيئة ، واستهتارهم في تحطيم الأواني والأقداح الزجاجية والأوعية البلورية . ألا يرى الكولونيل ريس هذا؟!

– نعم ، اني أتفق معك يا مسز دريك في رأيك عن خدم اليوم

هذا ما قلته لها . [illegible] أعرف الخادم السابقة بيتي آركديل .. وقد [illegible] لم تطق البقاء معنا وقالت بالحرف الواحد قبل ان تخرج إنها ترجو ان تجد بيتاً لا يموت فيه اصحابه قتلا .. نعم .. هكذا قالت بالحرف الواحد يا كولونيل ريس . هلا يموت اصحابه قتلا [illegible] تصور ، قالت هذا عقب وفاة المسكينة روزماري ، مع ان قرار قاضي التحقيق اعتبر الحادث انتحاراً . ولكن الخادم البذيئة أبت إلا ان تحول الانتحار إلى جريمة قتل

– وأين هي هذه الفتاة التي [illegible]

– بيتي آركديل . إنها تشتغل الآن [illegible]

– زوجة الميجور ألبوث ؟

– نعم .. أتعرفه ؟

– كان زميلا لي في الخدمة

– [illegible] .. إذا رأيته فحذره من بذاءة هذه الفتاة الحمقاء

وانتقلت مسز دريك بعد ذلك إلى موضوع الأسرة ، فتحدثت [illegible] – من [illegible] – دكتور جارل والد روزماري وايريس ، وكيف قامت هي برعايته بعد وفاة امه وهو صغير ، وكيف نشأ ضعيف الإرادة ، سيء الخلق ، [illegible] تزوج من الحسناء اليتيمة فيولا ، وكيف تحول الثري ولم يلبث من [illegible] لها إلى صديق للعائلة ، وكيف كان شديد الحب لابنته الرومانسية روزماري ، وكيف ترك لها ثروته الضخمة

وعادت للحديث عن جورج وحفلته التي أقامها في اليوم السابق ، والتي انتهت بوفاته [illegible] فجأة ، أثناء حديثهما ، ان اليوم السابق هو يوم [illegible] جميع الأرواح [illegible] سمع الكولونيل ريس صوتاً خفيفاً وراءه ، فالتفت بسرعة ، [illegible] .. وكان قد رآها من قبل في لحظات عابرة ، ولكنه في هذه المرة رآها [illegible] فدهش حين لمح أمارات التوتر

الغضب الشديد على وجهها . وفي نظرات عينيهـا الواسعتين ، وهي تلتقي بنظراتـه ، وقبل ان تستدير إيريس لتنسحب ، أسرعت لوسيلا دريك تقول لها :

– إيريس يا عزيزتي . . هـذا هو الكولونيل ريس . صديق جورج الحميم

وبعد ان صافحت إيريس الكولونيل في حزن ، قال لها :

– لقد جئت لأعرض خدماتي عليكما

– شكراً على هذا العطف يا كولونيل

وكان الواضح انها تعاني من صدمة نفسية عنيفة . . ترى هل كانت شديدة الميل إلى جورج ، فصدمتها وفاته المفاجئة بهذا العنف !

وركزت نظراتها على لوسيلا دريك وهي تقول :

– فيما كنتما تتحدثان عند دخولي !

فاضطربت لوسيلا برهة ، ثم ارتبكت ، ثم قالت :

– آه . . دعيني أذكر . . كنا نتحدث عن يوم « جميع الأرواح » . . ألم يكن يوم أمس ، أليست هذه مصادفة عجيبة أن يموت جورج المسكين بهذه الطريقة الغامضة في عيد جميع الأرواح

– هل تعنين أن روح روزماري جاءت في هـذا العيد لتأخـذ معها جورج ؟!

فأرسلت لوسيلا صيحة فزع خفيفة وقالت :

– أوه . . إيريس . . ما هذه الأفكار الغريبة ؟. الرهيبة ؟!

– لماذا غريبة ورهيبة !. ألم يكن أمس يوم الموتى . . إن النـاس في باريس يذهبون في هذا اليوم ليضعوا الزهور على القبور

– اوه . . نعم أعرف . . ولكنهم هناك يدينون بالكاثوليكية . .

فابتسمت إيريس في شحوب وقالت :

– ظننت أنك تتحدثين عن آنتوني . . آنتوني براون

– آه . . إذا شئت الحقيقة . . فقد تناولنا أنتوني بإشارة عابرة أثنـاء الحديث ، فنحن كما تعرفين ، لا نعلم عنه شيئاً . . ثم أنه . .

فقاطعتها إيريس بصوت جاف

– ولماذا تريدين أن تعرفي عنه أي شيء ؟

– أليس من الأفضل يا عزيزتي أن يعرف الانسان شيئاً عن أصحابه

– لسوف تتاح لك الفرصة قريباً لتعرفي عنه كل شيء يا عمـتي . . لأني سأتزوج به

فهتفت لوسيلا دريك في صوت يجمع بين العويل والاحتجاج :

– أوه . . لا . . لا يجب أن ترتكبي عملاً طائشاً هكذا . .

– لقد اتفقنا فعلاً يا عمـتي لوسيلا

لا . . لا . . لا يجوز أن تتحدثي عن الزواج وجسد جورج لم يدفن بعد . . ثم إني أعتقد يا إيريس أن جورج ما كان ليرضى عن مثل هـذا الزواج .

– نعم أعرف ، ما كان جورج ليرضى عنه ، لقد كان دائم النفور من أنتوني ، ولكن هذا لن يكون له أثر في حياتي الخاصة . .

ثم أرسلت ضحكة خفيفة وقالت :

– أنت لا تعلمين أن أنتوني براون طلب أن يتزوج بي ونحن نستعد للعودة إلى لندن من المنزل الريفي ليتل بريور . . طلب أن أذهب معه إلى لندن وأتزوج به دون أن يعرف أحد ! وليتني فعلت

فقال الكولونيل ريس في رفق

– الواقع أن هذا طلب غريب !

فنظرت اليه في تحد وقالت :

– لا .. لم يكن كذلك .. لو أني أطعته لوفرت على نفسي كل هـذه الفضيحة .. لماذا لم أثق به ؟ لقد طلب مني أن أثق به ، ولكني لم أفعل ، على كل حال سوف أتزوج به في أسرع وقت يريد

وانفجرت لوسيلا دريك بعبارات الاحتجاج الشديد ، وقرر الكولونيل أن يسيطر على الموقف ، فقال لإيريس :

– هل تسمحين لي بكلمة معك على انفراد يا مس مارل ؟

وأومأت الفتاة برأسها وتحركت نحو الباب بينما همس الكولونيل لمسز دريك :

– هدئي من نفسك يا مسز دريك .. سوف أبذل جهدي لإصلاح الأمور !.

ثم تركها وقد هدأت بعض الهدوء ، ومضى مع إيريس إلى غرفة صغيرة تطل على الحديقة الخلفية للمنزل ، وقال للفتاة :

– كل ما أستطيع ان اقول يا مس مارل هو أن المفتش كمب صديق شخصي لي ، وهو على أتم استعداد لمعاونتك في أي وقت

فنظرت اليه برهة في صمت ثم قالت فجأة :

– لماذا لم تنضم الينا في حفلة أمس كما كان جورج يتوقع ؟

– لم يكن جورج يتوقع حضوري

– ولكنه قال هذا

– ربما .. ولكنه لم يكن صادقاً .. كان يعلم تماماً انني لن أحضر

– ولكن ذلك المقعد الخالي .. لمن كان موضوعاً إذن ؟

– لم يكن لي على كل حال

فشحب وجهها بشدة ، وأغمضت عينيها ، وهمست في خوف :

– إذن كان موضوعاً لتجلس عليه روزماري .. فهمت الآن .. إنه كان يتوقع أن يرى شبح روزماري

وتخيل الكولونيل ريس أنها ستغيب عن وعيها ، فقال .

– هدئي من نفسك يا مس مارل .. تمالكي شعورك . أرجو منك

– إنني بخير .. ولكنني لا أدري ماذا أفعل . لا أدري كيف أتصرف ثم نظرت اليه برهة ، وأردفت قائلة وهي تلوح بيدها :

– يجب أن توضح لي كل الأمور .. نعم . إن جورج أولاً كان يعتقد تماماً أن روز ماري لم تنتحر ، وإنما قتلت ، وقد بنى اعتقاده على هـذه الخطابات المجهولة . فمن هو المرسل المجهول ؟

– انني لا أعرف ، ولا أحد يعرف . فهل لديك أنت أية فكرة عنه ؟

– لا .. مطلقاً .. وأيا كان الأمر ، فقد صدّق جورج ما ورد بها .. وأقام حفلة أمس لغرض معين .. وضع مقعداً خالياً ، لأن أمس كان عيد جميع الأرواح ، ولا شك أنه اعتقد ان روح روز ماري ستحضر وتخبره بكل شيء

– أوه .. لا ينبغي يا مس مارل أن تسرفي في مثل هذا الخيال !

– ولكنني شعرت بها بنفسي .. شعرت بروحها قريبة مني أحياناً .. إنني شقيقتها ، وأعتقد أنها تحاول ان تقول لي شيئاً

– خففي عن نفسك يا إيريس . ما هكذا يكون الخيال !

– بل يجب أن أتحدث عنها بهذه الصورة ، فقد شرب جورج نخبها أمس ، ثم مات ، فلماذا لا تكون روزماري أخذته معها ؟

– إن أرواح الموتى لا تضع سم السيانيد في كؤوس الشمبانيا يا عزيزتي

وأعادت هذه العبارة التوازن إلى تفكيرها وأعصابها ، فقالت في هدوء :

– نعم .. نعم لقد مات جورج مقتولاً .. وهذا أعجب ما في الأمر .. ولكن .. لماذا ؟

– إذا كانت روزماري ماتت مقتولة ، واستطاع جورج أن يرتاب في شخصية القاتل ، أفليس من المعقول أن يكون القاتل هو نفسه

ـ ولكن روزماري لم تقتل ! إنها انتحرت .. وليس من المعقول طبعاً أن تنتحر بسبب الانقباض النفسي الناشيء عن الأنفلونزا ، وإنما لسبب أقوى أنظر . سوف اطلعك على السبب

ثم غادرت الغرفة بسرعة ، وعادت تحمل الرسالة الغرامية ، ودستها في يد الكلونيل ، طالبة منه أن يقرأها ، وبعد ان قرأها مرتين ، أعادها إلى الفتاة التي قالت في لهفة :

ـ أرى ! لقد كانت محزونة يائسة .. مكسورة القلب . كارهة للحياة

ـ هل تعرفين من هو هذا الحبيب !

ـ ستيفن فاراداي . لم يكن أنتوني براون . وكانت متيمة بحب ستيفن فاراداي ، وكان هو قاسياً عليها ، ولهذا انتحرت في اللوكسمبورج امام عينيه ..

فاومأ ريس برأسه ، ثم قال بعد برهة صمت :

ـ متى عثرت على هذه الرسالة ؟

ـ بعد وفاتها بنحو ستة أشهر .. كانت في جيب ثوب قديم لها

ـ هل أطلعت جورج عليه ؟!

فصاحت في احتجاج :

ـ كيف يمكن أن أطلعه ؟ كيف يمكن ؟ إن روزماري أختي الشقيقة ، فكيف أفضحها أمام جورج ! لقد كان جـد واثق من حبها له ، فكيف أحطم يقينه من حبها بعد موتها .. لقد أخطأ هو فهم الموقف من أساسه ، ولم أشأ أن اكشف له عن الحقيقة ، والآن أريد أن اعرف ماذا ينبغي لي أن أفعل ؟ لقد أطلعتك على هذا الخطاب لأنك صديق جورج ، فهل يجب أن أطلع المفتش كمب عليه أيضاً

ـ نعم . يجب أن يحتفظ به كمب .. فهو دليل من أدلة القضية

ـ ولكن . كيف يكون الحال إذا قرأوا هـذا الخطاب في جلسة

التحقيق ؟!

ـ ليس من الضروري أن يعلنوا عنه ، إنهم الآن يحققون في مقتل جورج ، وهم لا يعلنون على الرأي العام مـا يمس الحياة الشخصية للقتيـل . ويحسن ان تسلميني الخطاب الآن

ـ حسناً .

ورافقته حتى باب المنزل الخارجي ، حيث قالت له فجأة :

ـ إن هذا الخطاب دليل على أن روزماري ماتت منتحرة . أليس كذلك !

ـ نعم . انه دليل على وجود الحافز لها للانتحار

فتنهدت إيريس بعمق

والتفت الكلونيل وراءه وهو يهبط الدرجات الخارجية ، فرآها واقفـة تنظر اليه وهو يمضي في طريق الانصراف

الفصل السابع عشر

سر المقعد الخالي

كان المفتش كمب في حالة نفسية سيئة

فقد ظل نصف ساعة وهو يستجوب الجرسون المساعد – بطرس بمطعم اللوكسمبرج ! وكان هذا الجرسون المساعد ابن اخت المتردوتيل تشارلس . ولكن هذه القرابة لم تكن تعفيه من حملات تشارلس عليه إذا اخطأ أو ارتبك .. وكان الشاب كغيره من المساعدين يجري هنا وهناك ملبياً طلبات الزبائن الخفيفة .. كالماء ، والشطائر ، والحلوى ، والسجائر ، وما الى هذا . وقد بذل كمب معه كل ما يستطيع من جهد ليظفر منه بشيء يضيء له السبيل في قضية مقتل جورج بارتون .. ولكن أقوال الشاب ، رغم جميع محاولات المفتش معه ، لم تتجاوز نطاق هذا الحوار

– لقد رفعت الحقيبة النسائية من أرضية المطعم ، وأعدتها الى مكانها فوق المائدة

– وكيف عرفت انها حقيبة إحدى السيدات المدعوات على مائدة المستر بارتون .

– كنت مسرعاً الى الزبون الموسيو روبرت بصحن شطائر عندما رأيت السيدة الصغيرة ذات الثوب الاخضر تنهض مع المدعوين ، ثم تسقط حقيبتها عندما احتك ثوبها بها ، فلم أفعل أكثر من التقاطها وإعادتها الى سطح المائدة ، وأسرعت في طريقي لأن الموسيو روبرت كان يشير اليّ بالاسراع .

هذا كل ما استطاع المفتش أن يظفر به من بطرس ، الجرسون المساعد ، أي أحد الجرسونات الستة الذين يخدمون في اللوكسمبرج وهم يفدون الفوط حول خصورهم .

وبعد انصراف الشاب المرتعد، اقبل السرجنت بولوك وأعلن للمفتش كمب أن سيدة تريد أن تقابله بخصوص قضية اللوكسمبرج . فقال له :

–من هي ؟

– تقول إن اسمها كلورست

– دعها تدخل ، ففي مقدوري أن امنحها عشر دقائق من وقتي .. فان المستر فراداي سيحضر بعد ذلك . ولا بأس من أن نجعله ينتظر قليلاً حتى يعرف ان رجال البوليس لا يخشون الشخصيات الكبيرة

وعندما دخلت كلورست ، خيل الى كمب أنه رآها من قبل ، ولكنه لم يذكر أين أو متى ، وأخيراً أقنع نفسه بأنه لم يرها . وكانت مسس وست في نحو الخامسة والعشرين ، طويلة . كستنائية الشعر ، باهرة الجمال ، عذبة الصوت برغم نبرات التوفز العصبي الواضحة فيه .

– حسنا يا مس وست .. أية خدمة يمكن أن أقوم بها لك ؟

– لقد قرأت عن حادث اللوكسمبرج . عن الرجل الذي مات هناك

– المستر جورج بارتون ؟ حسناً ! هل تعرفينه ؟

– في الحقيقة لا اعرفه تماماً . أعني ، لم تكن معرفتي به وطيدة

– هل يمكن أن نعرف اسمك الكامل وعنوانك يا مس وست حتى نحدد موقفنا من أقوالك !

– كلو العزابث وست ، ١٥ ماربفيل كورت ، ميدافيل . إنني ممثلة

فنظر كمب اليها بطرف عينه ، وقرر في نفسه انها حقاً – ممثلة – ثم قال :

– حسناً يا مس وست

– عندما قرأت أن البوليس يحقق في وفاة المستر بارتون ، رأيت أن من واجبي الحضور اليكم والإدلاء بما أعرفه عن المستر بارتون لصالح التحقيق

– حسناً يا مس وست .. هذا واجب كل مواطن نحو العدالة

– إنني لا أقــوم بالتمثيل في الوقت الحاضر ، ولكــن إسمي وصورتي منشوران في دليل أهل الفن .. وأكبر ظني أن المستر بارتون عرفني عن هـذا الطريق ..

– حسنا . حسنا

– أخبرني انه سيقيم حفلة عشاء في اللوكسمبورج ، وانه يريد أن يقــدم مفاجأة غريبة لمدعويه ، وسلمني صورة وطلب أن أبدو بالمكياج شبيهة بها تماماً والواقع انني اشبه فعلا صاحبة الصورة الى حد كبير ، وأن قليلا من المكيــاج يكمل الشبه تماماً .

وعندئذ أدرك كمب سر تخيله انه رأى مس وست من قبل ، فقد كان شاهد صورة لروز ماري ، وادرك من ثم قوة الشبه بينها وبين هـذه الفتاة . وعادت وهي تقول :

– وأحضر لي أيضاً ثوباً قال إن صاحبة الصورة كانت ترتديه في حفــلة سابقة مماثلة في اللوكسمبورج وقد جئت بهذا الثوب معي الآن ، وطلب مني أن أرتدي هذا الثوب ، وأن أصفف شعري بطريقة صاحبة الصورة ، وأن أحضر الى اللوكسمبورج عند ابتداء فاصل الكباريه ، وأن اجلس بهدوء على المقعد الخالي بين مدعويه ، وكان قد ذهب بي الى المطعم وتناول معي الغــداء هناك قبل الحفلة بيوم ، وأشار لي على مكان المائدة التي سيحتفل عليها مــع مدعويه .

– ولماذا لم تحضري في الموعد يا مس وست !؟

– لأن شخصاً ما .. المستر بارتون .. اتصل بي تلفونياً في تمام الساعة السادسة مساء أمس وقال لي إن الحفلة أجلت وانه سيخبرني بموعدها الثاني في الصباح . ولكني قرأت نبأ وفاته .

– حسناً فعلت بحضورك الينا يا مس وست .. فقد حللت لنا مشكلــة المقعد الخالي ، ولكن ، قلت إن « شخصاً ما » ثم أردفت هذه الكلمة بقولك المستر بارتون ، فلماذا ؟

– لأني ظننت في أول الأمر أن الصوت يختلف بعض الشيء عن صــوت المستر بارتون .

– هل كان صوت رجل ؟

– نعم .. أظن هذا .. كان صوتاً مبحوحاً .. بارداً

وبعد أن انصرفت ، قال المفتش كمب لنفسه « اراهن أن المستر بارتــون لم يكن هو الذي اتصل بها تلفونياً ليؤجل الحفلة .. هذا واضح لأنها لم تؤجل .. وأراهن ان الصوت لم يكن لرجل ، وإنما لأمرأة حاولت أن تجعله يبدو كصوت رجل .. والآن .. لندخل المعمعة مع المستر فراداي »

الفصل الثامن عشر

فراداي يواجه الحقيقية

كان ستيفن فراداي يصطنع الثبات والجمود وهو يدخل مكتب المفتش كب في إدارة اسكتلانديارد . ولكنه ، في أعماق نفسه ، كان يرتعد من الخوف والقلق . كان يشعر بالعزلة والوحشة لأن ساندرا ليست بجانبه وهو يواجه هذه المحنة .. ترى ماذا يريد المفتش منه ! هل عرف شيئاً عن علاقته الغرامية بروز ماري ؟! آه لو كانت ساندرا بجانبه ، تشد أزره ، وتعضده ، وتبث فيه كعادتها ، القوة والثبات !

واستقبله المفتش بوقار ، وقال له في لهجة خالية من المجاملة :

ـ سنكتب أقوالك يا مستر فراداي لكي توقعها بعد ذلك : ومن حقك طبعاً أن ترفض الإدلاء بأي أقوال إلا في حضور أحد المحامين إذا شئت

وحاول ستيفن أن يبتسم ليخفي شعوره المفاجيء بالفزع ، ثم قال

ـ هل الأمر خطير الى هذا الحد يا مستر كب !

ـ إننا نحب أن يكون كل شيء واضحاً بيننا يا مستر فراداي

ـ ولكني ذكرت لكم كل ما لدي من أقوال.

ـ حسناً .. هل كانت لك علاقة خاصة بالمسز بارتون الراحلة ؟

ـ من قال هذا ؟

فتناول المفتش ورقة مكتوبة بالآلة الكاتبة من سجل أمامه ، وقال :

ـ هذه صورة من خطاب عثرنا عليه بين حاجيات المسز بارتون .. أما الأصل فهو محفوظ لدينا . وقد سلمته لنا مس مارل .. إيريس .. التي تعرف عن يقين خط أختها ..

وبدأ ستيفن يقرأ :

« عزيزي ليوبارد »

وأحس كأنه سيغيب عن وعيه ، فقد شعر كأنما روز ماري قامت من قبرها لتتحدث اليه ! أليس من سبيل الى دفن الماضي معها ! ألا تريد هذه الفتاة .. أن تموت ! وجمع نفسه وقال :

ـ قد تكون محقاً في ظنك انها هي كاتبة هذه الرسالة .. ولكن ليس هناك ما يدل على انها خاصة بي !

ـ هل تنكر أنك كنت مستأجراً لمسكن خاص في شارع مالاند ، حي ايرل كوارت رقم ٢١ ؟

إذن فقد عرفوا الحقيقة ؟ ترى هل كانوا يعرفونها منذ أن اتصل بروز ماري لأول مرة ! وهز كتفيه وقال :

ـ يبدو أنك تعرف الكثير يا مستر كب . ولكن هل يمكن أن أعرف لماذا تنشرون شئوني الخاصة على الملأ ؟

ـ إننا لا ننشرها إلا إذا كان لها علاقة أكيدة بوفاة جورج بارتون .

ـ آه .. كأنك ترى انني أحببت زوجته أولاً ، ثم قتلته ؟

ـ سأكون صريحاً معك يا مستر فراداي .. لقد كنت ومسز بارتون صديقين حميمين . ثم افترقت عنها برغبتك ، لا برغبتها هي ، وهي في هذا الخطاب تلوح بإثارة فضيحة ، وعندئذ ، ماتت ، فما رأيك !

– لقد انتحرت .. ويمكن القول إنني مسؤول إلى حد ما عن انتحارها ، ولعلي أشعر بعذاب الضمير . ولكن ليس للقانون شأن بهذا !

– ربما انتحرت .. وربما لم تنتحر .. ولكن جورج بارتون كان يعتقد أنها قتلت ، ومن ثم راح يبحث ويتحرى .. وفجأة مات .. مسموماً

– ولكنني لا أدري لماذا .. لماذا تتهمني أنا ؟

– لقد اعترفت أن موت روز ماري أنقذك .. أنقذك من فضيحة رهيبة

– لا . لم يكن هناك احتمال في فضيحة من أي نوع .. كنت واثقاً أن روزماري ستقدر ظروفي

– من يدري ! هل كانت زوجتك تعلم بهذا الموضوع يا مستر فراداي

– طبعاً لا

– هل أنت واثق من هذه الإجابة ؟

– نعم .. إن زوجتي لا تعلم أكثر من وجود صداقة بريئة عادية كانت بيني وبين روزماري ، وإني أرجو أن تظل غافلة عن هذا الموضوع دائماً

– هل زوجتك سيدة غيور يا مستر فراداي ؟

– لا . أبداً . لم يبد عليها أي نوع من الغيرة في يوم ما .. إنها سيدة عاقلة متزنة التفكير

– هل حدث في يوم ما خلال هذه السنة الماضية أن كانت لديك أية كمية من سيانيد البوتاسيوم ؟

– لا . مطلقاً

– ولكنك تحتفظ بكمية منه بين حاجياتك في الريف !

– قد يكون البستاني محتفظاً بكمية منه .. أما أنا فلا

– ألم تشتر بنفسك أية كمية منه للاستعمال في التصوير الفوتغرافي !

– إنني لا أعرف شيئاً عن فن التصوير الفوتغرافي .. ولم أشتر أية كمية من السيانيد

وألقى كمب عليه بعض أسئلة قليلة أخرى قبل أن يأذن له بالانصراف ، ثم قال لمرؤوسه السرجنت بولوك في شرود ذهني :

– لقد كان سريعاً أكثر مما ينبغي في قوله إن زوجته لا تعلم شيئاً عن موضوع علاقته بروزماري .. فلماذا ؟! إنني أتعجب !

– لعله كان يخشى أن تعلم زوجته بهذا الأمر

– ربما .. ولكنني أعتقد أنه [illegible] .. وهو يريد أن يبين لنا أن زوجته ليس لها أدنى علاقة بالأمر ما دامت جاهلة بكل شيء عن علاقته بروز ماري

ثم هز كتفيه وعاد يقول :

– أياً كان الأمر فإن الكولونيل رايس مسرور بما وصل إليه من معلومات .. فإذا صحت هذه المعلومات ، فإن فراداي وزوجته سيخرجان من هذا الموضوع . وليس أحب إليّ من خروجهما ، فإني شخصياً معجب بهذا الشاب سليقن ولا أظن أنه مجرم

الفصل التاسع عشر

سر أنتوني براون

نظر أنتوني براون إلى البطاقة التي حملها اليه غلام الفندق ، وقال :

– حسناً .. دعه يتفضل بالدخول

وعندما دخل الكلونيل ريس ، قال له بهدوء .

– كولونيل ريس ؟ كنت صديقاً للراحل جورج بارتون ! كان يتحدث عنك كثيراً .. سيجارة ؟

– شكراً .. نعم

– كنا نتوقع حضورك ليلة أمس . ولكنك لم تحضر .. وحسناً فعلت

– لم يكن جورج يتوقع حضوري أمس ..

– أحقاً ! ولكن بارتون كان ..

– ربما قال لكم هذا . ولكنه كان في الواقع يعد لكم مفاجأة غريبة .. كان يتوقع أن تجلس على المقعد الخالي ممثلة مغمورة تدعى « كلو وست »

– لماذا ؟؟

– لأن كلو وست تشبه روز ماري إلى حد كبير

– آه .. بدأت أفهم

– لقد أعطاها صورة لروزماري ، ونفس الثوب الذي كانت ترتديه روزماري عند مقتلها ، وطلب منها أن تستكمل الشبه بالمكياج وترتدي نفس الثوب وتحضر الحفلة فجأة

– إذن كانت تلك هي خطــة جورج بارتون .. تنخفض الأنوار . ثم تسطع ، وإذا نحن نشهق من فرط الفزع حين نرى روز ماري جالسة بيننا . وإذا أحدنا يفقد زمام أعصابه ويصيح « أنا فعلتها .. أنا قتلتها » يا لك من أحمق مسكين غبي يا جورج بارتون

– ماذا تعني يا مستر براون !

– أتعتقد ان مجرماً خطيراً كان سيفزع من مفاجأة كهذه ؟

– نعم هذا عذر . ولعلها قتلت لأنها عرفت سراً معيناً . عرفت الاسم الحقيقي لشخص معين ، فهددها بالقتل إن باحت به لأحد . ما رأيك يا مستر توني موريللي ؟

فصمت آنتوني برهة أشعل خلالها سيجارة أخرى ثم قال بهدوء مثير .

– كيف عرفت هذا ؟

– هل تعترف بأنك توني موريللي ؟!

– إني لا أفكر في إضاعة الوقت بالإنكار . فلا شك أنك أبرقت إلى أمريكا وعرفت كل شيء عني !

– وأنت تعترف انك هددت « روزماري » بالموت بعد أن عرفت اسمك الحقيقي ؟ لقد سمعتك الخادمة بيتي وأنت تهددها

– لقد بذلت كل ما في وسعي لاقناعها حتى تكتم سر إسمي الحقيقي

فنظر الكلونيل ريس إلى الشاب في دهشة وفضول وهو يشعر أن هذه

المقابلة لن تأتي بالنتيجة التي كان يتوقعها .. وخيل اليه برهة أن هذا الشاب ليس هو غريباً عليه كمدير سابق لادارة مكافحة الجاسوسية ، وهز كتفيه أخيراً وقال له :

– هل تحب يا موريللي أن أقرأ عليك ملخص تقرير عن حياتك ؟
– ليس أحب إليّ من هذا .

– لقد حكم عليك بالسجن في الولايات المتحدة بتهمة القيام بأعمال تخريبية بمصانع إيروكين للطائرات ، وبعد ان امضيت مدة السجن وخرجت ، اختفيت عن أنظار السلطات المسؤولة ، ثم عرف عنك أنك مقيم في فندق كلاريدج بلندن منتحلا اسم آنتوني براون ، وهنا أنشأت علاقة مودة مع اللورد ديوزبري ، وعن طريقه تعرفت ببعض أقطاب الصناعات الحربية . وقد أقمت بضعة أسابيع في قصر اللورد ديوزبري واستغللت إقامتك كضيف عنده في الإطلاع على أسرار ما كان ينبغي لك الاطلاع عليها . وإنها لمصادفة عريبة أن تقع بعض حوادث التخريب التي كادت أن تؤدي إلى كارثة – لولا لطف الله – في المصانع التي سبق أن قمت بزيارتها

– إن المصادفات ، عادة ، شيء يثير الفضول !

– وأخيراً ، بعد وقت آخر ، عدت للظهور في لندن ، وجددت اتصالك بالآنسة إيريس مارل ، معتذراً عن زيارتها بالبيت ، حتى لا تعرف أسرتها مدى علاقتك بها ، وفي النهاية حاولت استدراجها للزواج بك سراً ..

ثم نظر الكولونيل اليه في حدة وأردف قائلا :
– عليك ان تفسر لنا الشيء الكثير عن تصرفاتك يا موريللي

– ولماذا أفسرها ما دمت أعترف بكل ما ذكرته عني ! لقد سجنت حقاً في أمريكا ، وتعرفت بأصدقاء معينين ، وأحببت فتاة جميلة ، وأردت

زواجها

– كنت تسعى ملهوفاً الى الزواج منها – سراً – قبل أن تعرف أسرتها عنك شيئاً . إن إيريس مارل فتاة واسعة الثراء . الآن !
– نعم . أعرف .. والمال الكثير يجعل أهل الفتاة سخفاء متزمتين في مسألة زواجها . وإن إيريس – كما تعلم – لا تعرف شيئاً عن ماضيّ الحافل

– أخشى القول إنها سوف تعرف كل شيء .. ويبدو أنك لا تدرك ..
فأرسل آنتوني ضحكة خفيفة وقال :

– لا أدرك خطر موقفي .. اليس كذلك ؟ إنكم تتهمونني بقتل روزماري حتى لا تفشي سر اسمي الحقيقي ، وقتلت جورج بارتون حتى لا يمنع زواجي من إيريس ، وإذا الآن أسعى إلى ثروتها .. إنها إتهامات معقولة ومنطقية .. ولكن .. اين هو الدليل

فنظر ريس اليه مرة أخرى في دهشة وفضول ثم قال :
– إن كل ما قلته عنك يا مستر موريللي لا يخالف الحقيقة .. ولكنه في نفس الوقت خطأ في خطأ
– ما هو الخطأ !

– أنت يا موريللي .. كنت أظن انك المجرم الحقيقي حتى رأيتك .. فلما رأيتك آمنت انك لست مجرماً . ليس في مظهرك ما يدل على أنك مجرم .. وما دمت لست مجرماً ، فأنت واحد من أمثالنا .. هل أنا على حق ام ضلال ؟

فصمت أنتوني برهة . ثم إذا الابتسام يلاصق وجهه تدريجياً وهو يقول .

– من عجائب الأمور في الحياة ان يشعر الانسان نحو انسان اخر أنه من نوعه .. من مثله ، ولعل هذا هو السبب الذي جعلني أتحاشى لقاءك

دائماً .. فقد كنت أخشى ان تعرف حقيقة أمري يا كولونيل .. أن تعرف حقيقة الدور الخطير الذي أقوم به . وكان من المهم جداً حينذاك ألا يعرف أحد عني حقيقة أمري ، ولكن الحمد لله .. لقد انتهى كل شيء ، ووضعنا تماماً في الشبكة جميع أفراد العصابة الدولية لتخريب مصانع الأسلحة في دول الحلفاء ، وكنت أشتغل في هذه المهمة منذ ثلاث سنوات .. كنت أندس بين صفوف العمال المشاغبين وأحضر اجتماعاتهم السرية ، واتصل برؤساء العصابة الفوضوية ، واشتهر بينهم بأني من كبار المخربين الفوضويين لاسيما بعد أن ثبت لهم اني سجنت في امريكا بسبب تهمة التخريب ، واضطررت الى تغيير إسمي من توني موريتي إلى أنتوني براون . لقد كان الحكم عليّ بالسجن في أمريكا لوناً من الخداع والتضليل حتى اشق طريقي بين عصابة الفوضويين ، وقد نجحت الخطة كل النجاح

وعندما جئت إلى هنا لأظهر صفوف العمال من المشاغبين والهدامين ، رأيت الأحوال بينهم تزداد سوءاً يوماً بعد يوم ، ولكني استطعت ان اتصل برؤساء الجمعية الهدامة في مركزها بوسط أوروبا ، وان اتلقى تعليماتهم بالإقامة في فندق كلاريدج ومحاولة عقد صداقة مع اللورد ديوزبيري — رئيس اتحاد الصناعات الحربية — وذلك للقيام بنشاط هدام في المصانع بمساعدة مندوبي العصابة في لندن ، واتصلت يومذاك بروزماري على أني من شباب المجتمع الراقي بلندن ، ولكن .. لشد ما كان فزعي حين ادركت انها تعرف اسمي الحقيقي توني موريتي ، وتعرف اني سجنت في امريكا .. وقد فزعت من أجلها هي .. فلو ان مندوبي العصابة علموا أنها تعرف سري لما ترددوا في قتلها فوراً .. إنهم لا يتورعون عن ارتكاب اية جريمة في سبيل تحقيق اهدافهم ولهذا بذلت جهدي لإقناعها لكي تكتم السر .. ولكني كنت اعرف انها من النوع الذي لا يستطيع ، بأي حال ، ان يحتفظ بسر مهما يكن خطيراً .. وفيما كنت أتحدث معها بهذا الشأن رأيت إيريس وهي تهبط السلم ،

واقسمت حينئذ ان اسعى للزواج منها ، من إيريس ، بمجرد اتمام مهمتي السرية بنجاح

وحين اوشكت المهمة على الانتهاء ، عدت واتصلت بإيريس ، ولكني تجنبت الاتصال بأسرتها خشية ان يقوموا بمحاولات لمعرفة كل شيء عني ، وكان الواجب عليّ أن ابقى محتفظاً بسري فترة طويلة حتى لا اتعرض لانتقام بعض رؤساء الجمعية الهدامة في اوروبا الوسطى ، وقد شعرت بالقلق على إيريس حين رأيتها خائفة مريضة ، وكان جورج شاذاً غريباً في تصرفاته ، فرأيت ان اتزوج بها سراً .. لأحميها ، ولكنها رفضت ، ولعلها احسنت ، ثم الح علي جورج لحضور حفلة في اللوكسمبرج ، فلم استطع الرفض ، وكنت اعلم انك يا سيدي الكولونيل قد تحضر في اية لحظة ، ولهذا قررت في نفسي ان انصرف عن الحفلة بمجرد وصولك ، وكنت انوي في تلك الليلة ان التقي برجل عرفته في امريكا يدعى مونكي كونان .. رأيته في لندن في تلك الليلة ، ولكني اعتقد انه لم يتذكرني .. المهم اني اردت الاستمرار في تجنب الظهور أمامك حتى لا تفطن الى حقيقتي قبل انتهاء المهمة السرية تماماً ، وقد عرفت يا كولونيل ما حدث بعد ذلك .. فقد مات جورج بارتون .. ولست اعرف من القاتل له ولزوجته

— اليست لديك اية فكرة ؟

— لا بد ان يكون القاتل هو الجرسون ، او احد المدعوين الخمسة في الحفلة ، واذا استبعد الجرسون ، واستبعد نفسي وإيريس .. اي لم يبق إلا ستيفن فاراداي وزوجته وروث ليسنج .. واكبر ظني انها روث ليسنج

— الديك من الأسباب ما يبرر هذا الظن ؟

— لا .. ولكني ارى انها الشخصية الوحيدة التي يتوافر لديها الباعث على قتل روزماري ، ثم قتل جورج بارتون حين علمت انه يسعى للكشف عن قاتل زوجته .. ولكنني لا ادري كيف دست السم في الحادثتين .

فقد كانت جالسة في كلتا المرتين في مكان من المائدة يستحيل عليها منه أن تعبث بكأس روزماري او جورج دون ان يراها احد . وكلما امعنت التفكير فيما حدث امس ، ازددت يقيناً بأنه من المستحيل ان يكون جورج مات مسموماً

ثم صمت برهة قبل ان يردف قائلاً :

– وثمة أمر اخر يحيرني .. انها الرسالتان المجهولتـــان . هل عرفت يا كلونيل مرسلهما المجهول ! إنهما الرسالتان اللتان جعلتا بارتون يكرس وقته للبحث عن قاتل زوجته بأي ثمن

فهز الكولونيل رأسه وقال : « لا »

الفصل العشرون

كيس السم

علم انتوني براون تليفونياً – ان المسز دريك ستخرج في تمام الساعة الخامسة بعد الظهر لتشرب قدح شاي او قهوة مع صديقة لها ، وقرر أنتوني ان يصل الى منزل إيريس بعد خروج مسز دريك بنحو ثلث ساعة حتى يطمئن تماماً إلى أنها خرجت ، فقد كان يريد أن يقابل إيريس – لا مسز دريك التي لا تترك مجالاً لأحد ليقاطع حديثها المتصل – فلمـــا وصل إلى المنزل ، استقبلته خادم جديدة ، واخبرته ان المس مارل جاءت توهـــا من الخارج ، وأنها في غرفة المكتبة ، فقال أنتوني لهـــا ، أي للخادم اسماً

– لا تتعبي نفسك بتوصيلي اليها .. فاني اعرف الطريق إلى غرفة المكتبة

ولما وصل الى الغرفة ، استدارت ايريس نحوه في اضطراب وتمتمت :

– اوه . اهذا انت !

فأسرع اليها ملهوفاً وقال :

– ماذا بك يا عزيزتي !

– لا شيء .. لا شيء كدت فقط ان اموت تحت عجلات سيارة مسرعة واعتقد انني المخطئة .. فقد كنت مشغولة الذهن بالتفكير العميق ، واندفعت السيارة نحو المنعطف وكادت تقضي عليّ .

– يجب ان تكوني اشد حذراً يا إيريس . إنني شديد القلق عليك ، لا لأنك كدت تروحين ضحية تحت عجلات سيارة مسرعة ، وإنما لتعودك على الاستغراق في التفكير اثناء سيرك في طريق مزدحم . فيم كنت تفكرين يا عزيزتي . في شيء مهم .. خاص !

فأومأت برأسها ، ثم نظرت اليه بعينين زاخرتين بالخوف والفزع ، ثم قالت :

– إنني خائفة ...

فجلس انتوني على اريكة جلدية ، وأجلس ايريس بجانبه ، وقال :

– هلم صارحيني بكل شيء ، ماذا يخيفك ..

– إنني أريد أن اصارحك . ولكني لا ادري ماذا ستقول عني في نفسك ! فلماذا تضحك، قالت بسرعة :

– إن الأمر اخطر جداً مما تظن ، إنه بخصوص الليلة الماضية

– أهكذا !..

– نعم .. هل حضرت أنت جلسة التحقيق الأولى في هذا الصباح ؟

– نعم . قرر الطبيب الشرعي ان الوفاة نشأت عن سم سيانيد البوتاسيوم وسجلت أقوال الضابط الذي حضر الى اللوكسمبرج عقب الحادث مباشرة للمحافظة على النظام ، وبعد أن قرر الشهود جميعاً أن القتيل هو جورج بارتون تأجلت الجلسة الى الاسبوع الآتي

فقالت ايريس :

– لقد ذكر المفتش كمب انه عثر على كيس صغير من الورق به آثار سيانيد البوتاسيوم تحت المائدة .

– نعم .. فالواضح أن الذي وضع السم في كأس بارتون ، ألقى بالكيس تحت المائدة ، فمن الخطر الشديد أن يحتفظ به في تلك اللحظة ..

ولشد ما كانت دهشة انتوني براون حين رأى إيريس ترتعد قائلة :

– لا .. لا .. لا .. يا انتوني .. لم يكن الأمر كما تقول ..

– ماذا تعنين يا عزيزتي .. ما شأنك أنت بهذا الأمر !

– أنا التي أسقطت هذا الكيس الصغير تحت المائدة ..

فنظر اليها في دهشة بالغة بينما أردفت هي قائلة :

– استمع يا انتوني .. هل تذكر كيف شرب جورج كأسه ثم مات ؟!

– نعم أذكر ...

كان الأمر فظيعاً .. كحلم مزعج .. جاء بعد أن ظننا أن كل شيء اصبح على ما يرام .. اعني بعد أن سطعت الانوار عقب فاصل الكباريه .. فقد هدأت نفسي كثيراً عندما سطعت الانوار دون أن يحدث شيء .. فقد كنت أخشى أن يتكرر حادث روز ماري أثناء فاصل الكباريه .. كنت أشعر انها ، معنا ، اعني ، كانت روحها معنا ، على المائدة ..

– تمالكي نفسك يا عزيزتي ..

– أوه .. أعرف ان اعصابي مضطربة .. ولكنني واثقة أنها كانت بروحها ، معنا .. فلما سطعت الأنوار تنهدت في ارتياح وأدركت ان كل شيء انتهى وان من الممكن أن نبدأ حياة جديدة ليس فيها ذكرى مؤلمة لروز ماري وهكذا رقصت مع جورج وأنا أشعر لأول مرة في حياتي بالبهجة الحقيقية .. ثم عدنا الى المائدة .. وتحدث جورج فجأة عن روز ماري وطلب الينا أن نشرب نخب ذكراها ، وعندئذ مات .. وعاد الكابوس

وصمتت إيريس برهة قبل أن تستطرد قائلة :

– لقد أحسست عندئذ كأني شللت ، فبقيت واقفة في مكاني أرتعد .. وجئت أنت لترى ما بي ، وأقبل الجرسونات ، واستدعى بعضهم الطبيب .. وفي خلال هذا كله بقيت واقفة كالتمثال ، ثم إذا الدموع ، أخيراً ، تنهمر من عيني ، ففتحت حقيبة يدي ، وتناولت منها منديلاً .. وعندئذ وجدت شيئاً في طيات المنديل . كيساً صغيراً من الورق الابيض ، كيساً صغيراً من هذه الأكياس التي يبيع فيها الصيدلي بعض المساحيق الضئيلة ، وقد دهشت طبعاً ، لأنه لم يكن في يدي كيس كهذا عندما غادرت المنزل الى اللوكسمبورج . لقد كانت الحقيبة خالية من كل شيء في غرفتي بالمنزل ، ومن ثم وضعت فيها بيدي أدوات التجميل ، ومشطاً صغيراً ، ومنديلاً ، وثلاثة شلنات ونصف شلن .. ومعنى هذا ان شخصاً ما ، شخصاً مجهولاً ، دس هذا الكيس الدقيق في حقيبة يدي . لا شك في هذا . وتذكرت كيف عثر البوليس على كيس كهذا في حقيبة يد روز ماري عقب وفاتها ، وكانت به كمية من سيانيد البوتاسيوم . وهكذا شعرت بالذعر ، الفزع الرهيب . وتخاذلت أصابعي ، وسقط الكيس من المنديل الى الأرض تحت المائدة . وتركته يسقط . ولم اخبر أحداً بهذا الأمر فقد كنت جد خائفة . فان شخصاً ما أراد أن يلصق تهمة قتل جورج بي ، وأنا بريئة منها .

وأرسل انتوني صفيراً خفيفاً من شفتيه ثم قال :

– هل رآك أحد ؟

– لست متأكدة تماماً . اعتقد أن روث ليسنج لاحظت الأمر ، ولكن كان يبدو عليها انها في حالة ذهول ، ومن ثم لا أعلم يقيناً هل لاحظت شيئاً أم لعلها كانت تحدق النظر دون أن ترى شيئاً يجري امامها .

– حقا إنه لمأزق حرج يا عزيزتي

– اخشى ان يكتشف البوليس هذه الحقيقة

– لا شك انهم سيكتشفونها ، فإن على الكيس بصمات اصابعك .

– لا لقد كنت أمسكه بالمنديل

– هذا من حسن حظك

– ولكن ، من الذي دسه في حقيبتي ؟ لقد كانت معي طوال السهرة للرقص مع جورج بعد فاصل الكباريه . ومن الممكن لأي شخص حينئذ أن يعبث بها في غفلة منا . ثم هناك غرفة ملابس وزينة السيدات في اللوكسمبورج . أريد ان تقدمي لي صورة وصفية لما تفعله السيدات في هذه الغرفة .

– لقد وقفنا جميعاً . ساندرا وروث ليسنج وأنا أمام منضدة زينة مستطيلة ذات مرآة كبيرة ، ووضعنا حقائبنا اليدوية عليها ، ورحنا ننظر الى وجوهنا في المرآة ، ثم اخذت روث تضع البودرة على وجهها .. وصرعت ساندرا تربت شعرها المصفف وتضع فيه دبوسا هنا او هناك ، وخلعت أنا معطفي الفرو وسلمته للسيدة المختصة بحفظ الملابس ، ثم تبينت ان يدي ملوثة بالطين ، فذهبت الى الحوض وغسلتها .

– ذهبت تاركة حقيبة يدك على منضدة الزينة !

– نعم ، وبعد أن غسلت يدي ، كانت روث لا تزال تضع البودرة على وجهها ، وكانت ساندرا عندئذ تسلم معطفها للسيدة المختصة ، ثم عادت الى منضدة الزينة ، وذهبت الى الحوض لتغسل يديها ، وعدت أنا الى منضدة الزينة لأتجمل ، وأتمت تصفيفة شعري .

– إذن .. كان في مقدور أية واحدة منهما ان تدس الكيس في حقيبة يدك دون أن يراها أحد .

– نعم .. لكنني اعتقد انه لا يمكن ان ترتكب ساندرا أو روث عملاً كهذا !

– إن ساندرا تبدو كسيدات العصور الوسطى من الطبقة الراقية .. أي

انها من النوع الذي لا يتردد في احراق أعدائه أحياء ، أما روث فانها تبدو لي الأنموذج الكامل للقاتلة بالسم !

– إذا كانت روث .. فلماذا لم تقل للبوليس إنهما رأتني وأنا ألقي بالكيس ..

– آه .. هذه نقطة هامة .. إذا كانت روث هي التي دست الكيس في منديلك بالحقيبة ، فلا شك تحرص على أن يبقى موجوداً بها ، وإذ سقط أعلنت عن سقوطه فوراً حتى تحقق غرضها ، ومـا دامت لم تعلن فالواضح أنها ليست هي التي وضعته .. ولكن الجرسون .. الجرسون هو الشخصية الوحيدة التي يمكنها القيام بهذا كله دون أن يفطن أحد .. فلو ثبت لنا مثلاً أن اللوكسمبرج استأجر في هذه الليلة جرسوناً مساعداً غريباً أو جديداً ، لوضحت كل الأمور .. ولكن .. لم يكن أمامنا غير جوزيب الإيطالي ، وبطرس

– إنني سعيدة إذ أخبرتك بهذا .. ولا يعرفه أحد غيرنا الآن ..

– لا لا يا عزيزتي .. لسوف أمضي بك الآن إلى المفتش كمب ..

– أرجو منك يا أنتوني ؟. ربما يظنون أنني القاتلة !

– إن ظنهم سيكون اشد إذا عرفوا ان الكيس وقع من حقيبة يدك دون أن تخبريهم بالأمر ، إن دفاعك عن نفسك حينئذ لن يكون مقبولاً .. أمـا إذا تطوعت الآن باخبارهم بالحقيقة ، فهناك احتمال كبير في تصديقهم لك ..

* * *

وعبثاً حاولت ايريس أن تمنعه من اصطحابها إلى المفتش كمب . وفيما هما يسيران في الصالة نحو باب الخروج ، إذا بجرس الباب الخارجي يدق ، وإذا

ايريس تقول :

– أوه .. نسيت .. إنها روث .. قالت إنها ستأتي إلى هنا بعد أن تفرغ من عملها في المكتب لتشرف على شؤون الجنازة . إنها ستكون بعد غد .. وكنت فكرت في أننا نستطيع أن نتبادل الآراء في هذا الموضوع أثناء غياب عمتي لوسيلا الآن . لأن عمتي لا تسمح لأحد بالحديث في وجودها ..

وتقدم أنتوني نحو الباب ليفتحه .. سابقاً الخادم التي كانت مسرعة ، فلما فتح الباب دخلت روث متعبة ، مرتبكة ، مضطربة الهيئة ، تحمل حافظة أوراق كبيرة ، تقول :

– إنني آسفة لتأخري .. فقد كانت محطة المترو مزدحمة جداً ، فمضيت إلى محطة السيارات العامة حيث فاتتني ثلاث سيارات كاملة العـدد . ولم أستطع العثور على تاكسي

وبدت روث ، لأنتوني براون ، انها ليست السكرتيرة القديرة التي كانت لا تضطر إلى الاعتذار عن أي عمل ، وهذا دليل جديد على تأثير وفاة جورج في نفسيتها وفي زلزلة كفاءتها غير الطبيعية

وقالت ايريس :

– إنني لن أستطيع الذهـاب معك الآن يا أنتوني .. يجب ان ارتب الأمور مع روث

– إن موضوعنا أهم من أي ترتيب للأمـور .. يؤسفني يا مس ليسنج أن أحرمك من إيريس بهذا الشكل . ولكن المسألة مهمة جداً

فأسرعت روث تقول :

– حسناً يا مستر براون . يمكنني أن أرتب كل شيء مع مسز دريك .. فأنا اعرف كيف اتحدث معها ..

ثم التفتت إلى ايريس واردفت قائلة

- ألديك يا إيريس أية تعليمات خاصة بشأن الجنازة ؟

- لا .. مطلقاً . يمكنك أن تتفقي مع عمتي لوسيلا على كل شيء .. فأنا شخصياً لا أهتم بمطالب الجنازات وما إلى هذا . أما عمتي ، فإنها تهتم أن تكون الجنازة مهيبة فاخرة ، وكأنها تظن أن مهابتها ستعيد الحياة إلى الموتى

ولم تجب روث بشيء ، فعادت إيريس تؤكد قائلة بعناد :

- ولكن الموتى لا يعودون إلى الحياة في هذه الدنيا

فأسرع أنتوني ، وأمسك بذراعها ، وغادر معها المنزل ، واستقل وإياها سيارة مأجورة ، انطلقت بها إلى ادارة اسكتلانديارد

الفصل الحادي والعشرون

خدعة بسيطة

كان الرجال الثلاثة جالسين في مشرب عام حول مائدة مستديرة ذات سطح رخامي . الكولونيل ريس ، والمفتش كمب يشربان شاياً ثقيلاً بغير لبن في فنجانين من الخزف . وكان معهما أنتوني براون يشرب القهوة في فنجان ثالث يشبه فنجانيهما تماماً . فقد كان المشرب يقدم القهوة والشاي في فناجين مماثلة .. وكان المفتش كمب ، بعد أن تأكد من شخصية أنتوني براون ، قد وافق على اعتباره زميلاً في المهنة !

قال وهو يضع أربع قطع من السكر في شايه الأسود .

- رأيي أن هذه القضية لن تعرض على المحكمة ، ولن نحصل أبداً على الأدلة الكافية لإدانة أحد من الذين نشتبه فيهم

وبعد برهة من الصمت ، عاد يقول :

- إن الأمل الوحيد هو استطاعتنا الإثبات بأن واحداً من المشتبه فيهم الخمسة اشترى سيانيد البوتاسيوم من مكان معين ، أو يحتفظ بكمية منه في مكان خاص .. ولكننا حتى الآن لم نستطع إثبات شيء من هذا القبيل ..

إنها إحدى القضايا القليلة التي يعرف فيها البوليس شخصية المجرم دون القدرة على إثبات الجريمة عليه . وصمت برهة قبل ان يستطرد قائلاً

– ثم هاتان الجريمتان . ولنصرف النظر عن الجريمة الأولى . فقد مضى عليها عام ونحن لا نعرف على وجه التحديد ماذا حدث ، ولكن الجريمة الثانية وقعت أمس ، وامام عيوننا ، لقد رأيت امس ماذا حدث ، ويجب ان اعرف كيف حدث .. إن انسب وقت لوضع السيانيد في كأس بارتون هو أثناء فاصل الكباريه ، ولكن هذا لم يكن ممكناً .. فقد شرب بارتون من كأسه عقب فاصل الكباريه . رأيته بعيني وهو يشرب ، وبعد أن شرب ، لم يضع أحد شيئاً في كأسه . لم يلمس أحد كأسه على الإطلاق ، ومع ذلك فقد كان كأسه مليئاً بالسيانيد حين شرب منه في المرة الأخيرة .. من المستحيل أن يكون مات مسمماً ، ولكنه مات مسمماً فعلاً .. كان في كأسه سم السيانيد .. ومع ذلك لم يكن في مقدور أحد أن يضع السم في كأسه . هل تفهمان ما أعني

فقال الكولونيل ريس :

– لا .. لا

وراح أنتوني براون يتأرجح بمقعده وهو مقطب الجبين ، ثم صاح فجأة :

– آه . فهمت .. فهمت .. عرفت . عرفت .. يا للسماء .. الجرسون وحقيبة اليد

– الجرسون ؟!

– لا لا .. ليس هذا ما أعني . لقد قلت مرة ان الحل لهذه المشكلة هو في وجود جرسون لم يكن جرسوناً حقيقياً ، وإنما له خفة يد الحاوي .. جرسون يكون قد التحق بالعمل في اللوكسمبرج قبل الحفلة بيوم أو في نفس اليوم ولكن الحقيقة ان الجرسون الذي كان يقوم بالخدمة هو جرسون حقيقي يساعده جرسون مساعد يتصف بصلة القربى لفردوتيل .. أي جرسون مساعد فوق الشبهات . وهو لا يزال حتى الآن فوق الشبهات ، ولكنه لعب دوره

.. لعب دوره الرئيسي

ثم حملق في وجهيهما وأردف قائلاً :

– الا تريان ؟ إن في مقدور الجرسون ان يسمم كأس الشمبانيا ، ولكن الجرسون لم يفعل هذا . لم يلمس أحد كأس جورج . ومع ذلك مات جورج مسمماً . إن « جورج » كلمة مفردة و « كأس جورج » كلمة مضافة الى كلمة . والكلمة المفردة تختلف عن الكلمة المضافة إلى كلمة .. ثم هناك المال .. المال الكثير . وربما هناك الحب ايضاً . لا تنظرا اليّ هكذا كأني مجنون . هلما معي .. سأريكما ما اعني

وأزاح مقعده الى الوراء ، وأمسك بذراع كمب وقال :

– تعال معي

ونظر كمب الى فنجان شايه المملوء الى النصف في اسف ، ثم غمغم قائلاً :

– يجب ان ادفع الحساب اولاً

– لا لا . سوف نعود بعد لحظة .. سأريكما شيئاً خارج المشرب .. هلم يا كولونيل ريس

وبعد ان ازاح المنضدة المستديرة جانباً ، مضى معهما إلى الردهة الخارجية للمشرب ، ثم اشار الى مكتب التليفون العمومي وقال :

– اتريان هذا التليفون ؟

ثم دس يده في جيبه واردف قائلاً :

– آه .. ولكن ليس معي للأسف قطعة نقد صغيرة .. حسناً .. لقد فكرت ان اؤجل الحديث الآن . هلما نعود إلى أماكننا

وعاد الثلاثة إلى المنضدة المستديرة : المفتش كمب اولاً ، ثم ريس ووراءه مع انتوني الممسك بذراعه

وتناول كمب بيته من فوق المنضدة وهو مقطب الجبين ، وراح ينظفها من بقايا التبغ المحترق بدبوس أخذه من صدريته . وراجع الكولونيل ريس في

مقعده وهو ينظر الى انتوني مدهوشاً ، ثم تناول فنجان الشاي الذي امامة وشرب ما فيه في جرعة واحدة ، ثم هتف مدهوشاً :

ـ عجباً ! إن هذا الشاي كثير السكر .. وأنا لم أضع في فنجاني غير نصف قطعة ؟!

ونظر إلى أنتوني الذي راح يبتسم ، بينما هتف المفتش كمب حين ارتشف من الفنجان الموضوع امامه

ـ ما هذا بحق الشيطان !

فاتسعت الابتسامة على شفتي انتوني وهو يقول :

ـ قهوة .. ولا اظن انك تستسيغها .. لأني لم استسغها شخصياً

الفصل الثاني والعشرون

ايريس في خطر

وسر أنتوني حين رأى امارات الفهم والادراك لحقيقة الموقف تلتمع في عيون المفتش كمب والكولونيل ريس . ولكنه لم يلبث أن صاح في فزع :

ـ يا إلهي .. تلك السيارة .. السيارة التي كادت تقضي على حياة إيريس اليوم ، يا لغبائي .. هلم أسرعا معي .. إن إيريس في خطر شديد

فقال كمب وهو ينهض مدهوشاً .

ـ قالت انها ستمضي فوراً الى المنزل بعد انصرافها من اسكتلانديارد

ـ نعم .. كان ينبغي أن أعود معها

ـ لماذا ؟ من في المنزل ؟

ـ روث ليسنج . إنها هناك تنتظر مسز دريك

فقال الكولونيل : « هل لإيريس أقارب آخرون غير مسز دريك ؟ »

ـ لم أسمع ان لها اقارب غير عمتها وابنها فيكتور

ـ هل تعتقد يا مستر براون ان الخطر شديد على إيريس ؟

ـ جداً .. هلم نسرع

واستقل الجميع سيارة مأجورة إلى منزل الفامستون-سكوير

وقال كب : ولكن .. لماذا تعتقد أن إيريس معرضة لخطر عاجل ؟

— انها ذكرت امام مسز دريك انها تنوي الزواج بي في أقرب فرصة

ووصلت السيارة إلى مدخل المنزل

وانطلق أنتوني ، والآخران يتبعانه الى الباب الخارجي ، وضغط على زر الجرس بشدة ، فلما فتحت الخادم الباب ، قال لها ملهوفاً :

— هل مس مارل موجودة ؟

— نعم .. جاءت منذ نصف ساعة

— واين هي الآن ؟

— أعتقد انها في غرفة الجلوس مع مسز دريك

وكانت لوسيلا دريك في غرفة الجلوس فقال لها انتوني :

— أين ايريس ؟

فاندفعت في حديث طويل عريض عن ايريس التي جاءت من الخارج منذ نصف ساعة قائلة انها تشعر بصداع ، ومن ثم صعدت فوراً الى غرفتها الخاصة بالطابق العلوي ، ووروث ليسنج ؟. لقد انصرفت منذ عشر دقائق بعد أن اتفقت معها على جميع الترتيبات الأولية لنظام الجنازة

وأسرع أنتوني في طريقه الى الطابق الثـالث ، فلمـا سمع وقع أقـدام وراءه ، التفت ليرى المفتش كب يحاول اللحاق به ، فقال له هامساً :

— لقد ازداد الأمر وضوحاً يا مستر كب .. فالإنسان عادة لا يشرب من كأسه حين يشرب المدعوون نخبه في حفلة لتكريمه .. أليس كذلك؟

- نعم ، نعم .. معنى هذا ان ايريس لم تشرب من كأسها .. نخب نفسها

- في المرة قبل الأخيرة .. كيف غفلنا عن هذه الحقيقة الواضحة !

وعندما وصلا الى الطابق الثاني ، وتأهبا لصعود الطابق الثـالث ، سمع أنتوني وقع أقدام خفيفة تهبط منه ، فتراجع مع كب الى باب مفتوح في مدخل

الطابق الثاني ، حتى اختفى الهابط من فوق في منعطف السلم بالطابق الأسفل

وانطلق أنتوني الى أعلى .. وكان يعرف أن غرفة ايريس تقع في الجانب الخلفي من الطابق الثالث ، فأسرع اليها ، ونقر على بابها وهتف وهو يحاول فتحها بلهفة : « ايريس .. ايريس »

وبعد لحظة ، توقف ونظر الى أرضية الصالة الواقف عليها ، فلاحظ وجود مشاية من الصوف السميك التي توضع تحت الأبواب لتمنع مرور التيارات الهوائية الباردة الى الغرف .. وكانت هذه المشاية السميكة محكمة أسفل الباب بشكل أثار فضوله ، ومن ثم نظر من خلال ثقب القفل الى داخل الغرفة بعد أن شم رائحة معينة ، ثم انتصب واقفاً وصاح :

— كب .. كب

ولكن المفتش لم يسرع اليه ، وانما الذي أسرع اليه كان الكولونيل ريس فقال له آنتوني بسرعة وفزع :

— ان رائحة الغاز القاتل تنساب من ثقب مفتاح هذه الغرفة .. يجب ان نكسر الباب حالاً!

وتعاون الرجلان على فتح الباب عنوة بكل ما لديهما من قوة .. فلما انفتح أخيراً .. تراجعا برهة ، وقال ريس

— انها هناك ، بجانب المدفأة .. سوف اندفع الى الغرفة وافتح النافذة ، وعليك أنت ان تسرع بحملها بعيداً

وكانت ايريس مارل راقدة على الأرضية ، وفمها وأنفها فوق فتحة أنبوبة غاز الاستصباح السام

واستطاع الرجلان ، بعد لحظات خاطفة ، أن يحملا الفتاة المغشى عليها الى نافذة مفتوحة في الصالة ، وقال الكولونيل ريس وهو يسعل بشدة :

— سوف أعمل على اسعافها .. وعليك ان تستدعي الطبيب بسرعة

وانطلق آنتوني نحو السلم بينما كان صوت الكولونيل يرن في أذنه :

ـ لا تقلق .. لقد وصلنا في الوقت المناسب ، واعتقد انها ستنجو
وبعد أن اتصل آنتوني بأقرب طبيب ، تليفونياً ، تنهد وقال :
ـ الحمد لله . انه سيأتي في أقل من خمس دقائق

وكانت مسز دريك تولول قائلة في دهشة واحتجاج :
ـ ماذا حدث ؟ هل ايريس مريضة حقاً ؟
ـ لقد وجدناها في غرفتها ، والباب مغلق عليها ، ووجهها فوق فتحة أنبوب الغاز .
فصاحت لوسيلا دريك في فزع :
ـ ايريس ؟ هل انتحرت ايريس؟! انتحرت ؟ لا أصدق .. هذا مستحيل
فابتسم آنتوني في شحوب وقال :
ـ ان إيريس لم تنتحر ، وانما كادت أن تكون الضحية الثالثة

الفصل الثالث والعشرون

المكافأة العذبة

قالت إيريس وهي راقدة على الأريكة تتلقى أشعة شمس الخريف المنسابة من نافذة المنزل الريفي ليتل برايور :
ـ والآن يا توني .. أرجو منك أن توضح لي كل شيء
فنظر آنتوني نحو الكولونيل ريس الذي كان جالساً على قاعدة النافذة ينظر إلى المروج الخضراء :
ـ كنت أنتظر هذه اللحظة بلهفة . فاني سأنفجر إذا لم أجد شخصاً أبين له مبلغ براعتي وذكائي وصدق تقديري للأمور .. وإني سأنتظر في النهاية أن تكافئيني بما ينبغي

وفيما كانت إيريس تبتسم ، والكولونيل يغمغم بكلمات غامضة عن « غرور الشباب » استطرد آنتوني في حديثه قائلاً :
إن القضية الآن أصبحت واضحة كل الوضوح . لقد ماتت روز ماري في العام الماضي في ظروف غامضة ، واعتبر المحققون الحادث انتحاراً ، ولكن جورج ، بعد وصول الرسالتين المجهولتين اليه ، اعتقد ان زوجته ماتت

مسممة ، وقرر أن يبذل جهده للقبض على القاتل ، فكانت النتيجة أنه قتل أيضاً . كل هذا كان واضحاً .. ولكن المشكلة التي واجهتنا هي كيف دس السم في كأس جورج ؟

لقد ظلت هذه المشكلة الغامضة تحيرني حتى ومضت في ذهني فكرة عجيبة وأنا جالس اشرب القهوة مع الكولونيل والمفتش اللذين كانا يشربان الشاي .. لقد خطر في حينئذ ان السم وضع في كأسك انت يا إيريس ، وليس في كأس جورج ، وذلك أثناء فاصل الكباريه حيث تخفت الأنوار وحيث يمكن أن يقترب أي جرسون من المائدة بحجة مسح سطح ، أو لأي شيء من هذا القبيل دون أن يهتم بأمره أحد . وبعد انتهاء فاصل الكباريه ، طلب جورج من المدعوين ان يشربوا نخبك ، والمعتاد ان الانسان لا يشرب نخب نفسه . اي أنك – كما قلت لي اليوم فعلاً – لم تشربي من كأسك أثناء هذا النخب ، أي في هذه المرة قبل الأخيرة .. وهكذا ظل كأسك مملوءاً بالسم دون أن تشربي منه . لحسن الحظ – حظك أنت طبعاً . ولما نهضتم جميعاً للرقص بعد هذا النخب سقطت حقيبة يدك أثناء وقوفك ، ورآها أحد الجرسونات المساعدين ، وهو الجرسون بطرس ، على الأرض ، فأسرع وأعادها إلى المائدة ، أقول أعادها إلى المائدة فقط ، ولا اقول اعادها إلى مكانها بجوار كأسك ، ولو ان الجرسون الرئيسي جوزيب هو الذي أعادها ، لوضعها في المكان الذي كانت فيه بجانب كأسك . ولكن بطرس مجرد جرسون مساعد يجري هنا وهناك ، وكان متعجلاً في تأدية طلب أحد الزبائن ، وهكذا وضعها كيفما يكون بالقرب من المكان الذي سقطت منه ، ولما كانت الكؤوس متشابهة ، فان احداً منكم لم يفطن إلى التغيير الذي حدث . لم يفطن الى أن حقيبة يدك وضعت بجانب كأس جورج الخالي من السم ، وهكذا جلست أنت مكان جورج ، وجلس جورج مكانك ، وشرب من كأسك ، وهو لا يدري ، في المرة الأخيرة ، وسقط ميتاً . ولما ومضت هذه

الفكرة في رأسي وأنا جالس مع الكولونيل والمفتش في المشرب ، قررت أن أقوم بتجربة عملية لإثباتها . فقد كنا نجلس حول مائدة صغيرة مستديرة . وكان الكولونيل يشرب شاياً قليل السكر ، والمفتش يشرب شاياً كثير السكر ، وأنا أشرب قهوة . وكانت الفناجين كلها متشابهة ، تشابه كؤوس الشمبانيا وكان كمب يضع بيبته بجانب فنجانه . فلما طلبت منهما الخروج معي برهة ، غافلتهما وزحزحت بيبة كمب إلى جانب قهوتي ، وهكذا لما عدنا ، جلس هو في مكاني وهو يحسبه مكانه بسبب وجود بيبته بجانب فنجان القهوة ، وجلست أنا في مكان الكولونيل ريس ، وجلس الكولونيل في مكان كمب دون ان يدري أحدهما بأي تغيير في الوضع إلا حين شرب الكولونيل جرعة من شاي المفتش الكثير السكر ، وحين شرب المفتش رشفة من قهوتي . وكان السبب في كل هذا التغيير في ترتيب الجلوس هو نقل بيبة كمب من جانب فنجانه الى جانب فنجاني . وهذا نفس ما حدث عندما سقطت حقيبة يدك يا إيريس . وعندما أعادها الجرسون المساعد المتعجل الى المائدة ، ولكن بعد أن غير موضعها ، وهو لا يدري فأصبحت بجانب كأس جورج الخالي من السم ، وأصبح كأسك المسمم من نصيب جورج المسكين .

وصمت آنتوني برهة قبل ان يستطرد قائلاً :

– كانت الجريمة الثانية مدبرة للقضاء عليك أنت يا إيريس . وقد استخدم جورج ، دون أن يدري ، لتنفيذها . فلو لم يحدث ذلك الخطأ في انتقال حقيبة اليد من مكان الى مكان ، لظن الجميع أنك انتحرت كما انتحرت اختك في العام الماضي ، لاسيما بعد ان يعثر البوليس على كيس السم الصغير في حقيبة يدك كما عثر على مثله في حقيبة يد روزماري ، ولاعتقد الرأي العام ان « الانتحار » وراثي في العائلة ، وانك انتحرت بسبب حزنك الشديد على اختك ، وأنك كفتاة ثرية تعودت إدمان اي نوع من المخدرات بسبب هذا الحزن . أو لأنك قتلت اختك طمعاً في الميراث ، ولكنك لم تحتملي عذاب

الضمير ، فانتحرت في نفس الظروف المتشابهة التي انتحرت فيها اختك

فقالت ايريس في دهشة :

– ولكن لماذا .. لماذا يحاول اي شخص ان يقتلني .. لماذا ؟

– بسبب المال .. المال الجميل .. المال الوفير .. الثروة .. ثروة روز ماري .. ثروتها التي انتقلت اليك .. ولنفرض أنك مت قبل أن تتزوجي، فإلى من تنتقل الثروة ؟ الإجابة هي انها ستنتقل الى اقرب الناس اليك .. الى عمتك لوسيلا دريك ، او بمعنى آخر الى ابنها فكتور .. فإن المال الذي في يد الأم ، سيصبح فوراً في يد الابن المدلل . الابن الذي عاش طول عمره وهو يأخذ من أمه ما يشاء من مال حتى كاد أن يقضي على كل مدخراتها . إن فكتور دريك يا عزيزتي ايريس هو القاتل الأول .

– عجباً .. إن فكتور في الارجنتين

– أحقاً . لسوف نبحث هذه الحقيقة عندما تناول القاعدة الاساسية في كل قصة .. شاب يقابل فتاة .. وقد بدأت قصتنا – أو قضيتنا هذه – عندما التقت روث ليسنج بفكتور دريك لأول مرة . لقد سيطر عليها تماماً في تلك المقابلة .. لقد فتنها وجذبها واستهواها فوقعت بين يديه بسهولة ، فالمعروف أن الفتيات الهادئات المتزنات من النوع الذي إذا عرف الحب الملتهب ، غرق فيه الى اذنيه . أما وجود فكتور في الارجنتين ، فليس هناك أي دليل عليه إلا كلمة روث . قالت روث إنها ودعته على سطح الباخرة كريستوبال التي أبحرت الى امريكا الجنوبية قبل مقتل روز ماري بخمسة أيام .. فهل هي ودعته في ذلك اليوم حقاً كما قالت ؟! إن أحداً لم يحاول أن يتأكد من أقوالها لأنه لم يكن ثمة ما يدعو الى الشك فيها . وكذلك كانت هي التي قالت إنها اتصلت تليفونياً بعميل جورج في بيونس إيريس ليسوي الموقف الحرج الذي يعانيه فكتور ، فهل حقاً اتصلت تليفونياً بالعميل كما زعمت ؟! لقد طردت في نفس اليوم عاملة التليفون في مكتب جورج بحجة أنها كانت تسترق السمع

عليها ، وإنما هي طردتها في الحقيقة حتى لا تشهد الفتاة بأن روث لم تتصل تليفونياً بعميل جورج في الارجنتين .

ومن الطبيعي الآن أن في مقدورنا إثبات كل شيء . فقد ثبت فعلاً أن فكتور دريك لم يبحر الى الأرجنتين على الباخرة كريستوبال كما زعمت روث ، وإنما ابحر بعد مقتل روز ماري بيوم واحد . واعترف اوجليفي – عميل جورج في بيونس إيريس – برقياً ، ان روث ليسنج لم تتصل تليفونياً به بخصوص مشكلة فكتور يوم وفاة جورج . وقد ذكر في نفس البرقية رداً على سؤالنا أن فكتور دريك غادر بيونس إيريس الى نيويورك منذ بضعة أسابيع ولم يكن أسهل على فكتور من أن يتفق مع شخص معين في بيونس ايريس لكي يرسل برقية بصيغة معينة في يوم محدود الى امه مسز دريك . وبذلك يعتقد الجميع انه موجود في الارجنتين يوم إرسال البرقية ، مع انه موجود ، في الواقع ، بمدينة لندن .

فتمتمت إيريس مدهوشة :

– هنا ، في لندن ؟

فألقى انتوني بمفاجأته الاخيرة قائلاً :

– نعم في لندن . وكان جالساً على المائدة القريبة من مائدتنا ليلة الحفلة مع الفاتنة الشقراء كريستين شاون .

– أتعني ذلك الرجل الغريب ذا الوجه الملوح والعينين الحمراوين ؟!

– نعم .. إنه هو .. وليس أسهل على أي شخص بارع في عمليات التنكر أن يبدو ملوح الوجه ، أحمر العينين . وهذا النوع من التنكر يغير الشبه الى حد كبير ، وفي الواقع كنت أنا الوحيد بين المدعوين في حفلة جورج ما عدا روث ليسنج – الذي سبق لها رؤية فكتور دريك .. ولكنني لم أكن اعرفه بهذا الاسم ، وإنما عرفته باسم مونكي كولمان . وكانت معرفتي به اول مرة في السجن بأمريكا ، ولهذا لم أشأ أن اجعله يراني وأنا جالس بينكم في

اللوكسمبروج حتى لا يهتف باسمي الحقيقي ويفشي سري . وانما قررت أن التقي به في اليوم التالي إذا لزم الأمر . ولهذا السبب حرصت على ان أجعل ظهري اليه ، ولم أكن أعرف ان مونكي كولمان هو نفسه فكتور دريك .

فقال الكلونيل ريس من مكانه على قاعدة النافذة :

– وهو نفسه الذي كان يجلس مع الغانية الشقراء باسم بدرو موريلز .. المكسيكي .

فقالت إيريس في دهشة :

– ولكن .. كيف وضع السم في كاسي .. أعني في الكأس الذي شرب منه جورج ؟!

– لم يكن أسهل عليه من هذا .. كان اللعين قد دبر الخطة بإحكام .. وقد اعترفت الغانية الشقراء كريستين أن صاحبها بدرو موريلز ذهب ليتحدث في التليفون أثناء فاصل الكباريه ، ولكنه ،في الواقع ذهب ليتنكر في هيئة جرسون .. ولم يكن أسهل عليه من عملية هذا التنكر ، لأنه لم يكن في حاجة إلا إلى فوطة يضعها حول وسطه .. وإلا أن يجعل ظهره دائماً إلى حيث تجلس صاحبته كريستين ، وإن كان من غير المحتمل أن تراه وتتعرف عليه حتى لو نظرت إلى وجهه ، فالمعتاد أن رواد المطاعم الفاخرة لا يحدقون النظر إلى الجرسونات الساعدين ، بل لا يشعرون بوجودهم إلا على أنهم « جزء » من أثاثات المطعم . وهكذا أتيحت الفرصة لفيكتور دريك أن يدس السم في كأسك يا إيريس وهو يتظاهر بمسح سطح المائدة أو رفع بعض الصحون الخالية ، وبطبيعة الحال كنتم مشغولين عنه بالنظر إلى فاصل الكباريه ، هذا فضلاً عن خفوت الأضواء . والمعروف عن فكتور أنه تقلب في أعمال مختلفة ، منها الخدمة في المقاهي والمطاعم . وكان تدربه على هذا النوع من العمل سبباً لأن ينجح في دوره . فلو أنه لم يكن مدرباً كجرسون ، للفت الأنظار اليه بارتباكه واضطرابه . وبعد أن وضع السم في الكأس ،

أسرع الى غرفة الملابس في المطعم ، وخلع الفوطة ، واستعاد هيئته على أنه السائح المكسيكي بدرو موريلز ، وعاد إلى صاحبته الشقراء كريستين .. أي العملية كلها لم تستغرق منه أكثر من خمس دقائق

وقالت إيريس :

– وروث . ما دورها ؟

– إنها هي التي وضعت كيس السم في حقيبة يدك في غرفة زينة السيدات، كما فعلت مع روزماري في العام الماضي

– ولكن .. كيف بدأت الخطة ؟!

– بدأت منذ اللحظة التي التقت فيها روث ليسنج مع فكتور دريك في غرفته بالفندق .. لقد عرف هذا اللعين كيف يضرب على أوتار قلبها الحساسة ، عرف كيف يضرم نيران حقدها على روزماري . وكيف يلوح لها بالأمل في الزواج من جورج إذا أزيحت روزماري من الطريق . كان هو يهدف في قرارة نفسه للحصول على ثروة روزماري بعد أن يقضي عليها ثم عليك .. وكانت هي تهدف الى المال ، والى الزواج بجورج بارتون في أول الأمر ، ولكنها عدلت أخيراً وقررت الزواج من فكتور بعد أن أحبته . هذا إلى إرواء غليلها من روزماري .. نعم . لقد تبينت أنها تحب فكتور بعد أن اشتركت معه في قتل روزماري .. هو بدس السم في كأس روزماري أثناء فاصل الكباريه ، بعد أن تنكر في هيئة جرسون ، وهي بوضع كيس السم في حقيبة روزماري ليبدو الحادث على أنه انتحار

وسافر هو الى الأرجنتين .. وتبينت هي أثناء سفره أنه فتى أحلامها بشبابه وقوامه الطويل وجاذبيته العارمة . وهكذا اتفقا على تدبير خطة لقتلك بشرط أن يبدو الحادث أمام الناس عامة ، وأمام جورج خاصة ، أنه حادث انتحار فتاة حزينة على أختها أو شقية بعذاب ضميرها الذي راح يؤنبها لأنها قتلت هذه الأخت من أجل المال" هذه هي الفكرة العامة

ولذلك أرسلت روث الرسالتين المجهولتين إلى جورج لكي تستغله – دون أن يشعر في تنفيذ الخطة . وليس من شك في أنهـــا هي التي أوحت اليه بجميع الخطوات التي اتخذها بعد ذلك .. وقد اعترفت هي بهذا كله فعلا .. هي التي أثارت شكوكه في آل فراداي وجعلته يشتري منزل لتيـــل برايور ليراقبها ، وهي التي أثارت شكوكه في شخصي ، بل في شخصك يا إيريس ، وهي التي أوحت اليه باقامة هذه الحفلة في اللوكسمبرج زاعمة له أنها ستكون الشرك الذي سيقع فيه القاتل . وكانت بطبيعة الحال تهدف الى تهيئة الجو لارتكاب جريمة تبدو في نظر الجميع حادث انتحار وكانت هي التي اتصلت بالممثلة كلووست تليفونياً وزعمت لها أن الحفلة تأجلت ، وذلك خوفاً أن يفسد حضور الممثلة الخطة الموضوعة

وصمت أنتوني برهة ، قبل أن يستطرد قائلاً .

– ولما فشلت الخطة ، بسبب انتقال حقيبة يدك من مكانها بجانب كأسك الى جانب كأس جورج ، وهكذا تبادلتما الكأسين دون أن تعلما ، جن جنون الاثنين . لاسيما حين علم فكتور – من روث التي علمت من مسز دريك – أنك ستتزوجين بي في أقرب فرصة . وزواجك بي ، سيضيع الفرصة عليهما في انتقال الثروة الى مسز دريك اذا مت قبل الزواج . ذلك أن قانون الميراث هنـا يجعل الزوج اقرب الناس في الميراث الى زوجته بعد الأبناء ، ما لم يكن هناك وصية تنص على غير هذا

ومن ثم حاولت ان تقضي عليك بسيارة كانت تقودها لهذا الغرض فلما فشلت ، جاءت الى البيت متأخرة عن موعدها معك قليـــلا – وهي كما رأيت – مضطربة مرتبكة على غير عادتها ، زاعمة انها لم تجد سيارة أجرة ، وان السيارات العامة وقطارات المترو كانت مزدحمة . ولم تتراجع عن محاولة قتلك ، فانتهزت فرصة انفرادك في غرفتك في الطابق العلوي ، واستأذنت في الانصراف من مسز دريك ، وتسللت اليك .. وعليك أن تخبرينا أنت

ماذا فعلت معك

فقالت إيريس :

– لقد طرقت على الباب برفق ، فلما أذنت لها بالدخول ، أقبلت قائلة إنها ترجو ان أكون بخير ، ثم اذا هي تلتقط مشعلاً كهربائياً كبيراً « بطارية ضوء » مغلفة بالمطاط قائلة إنها مشعل جميل ثمين . وبعد ذلك لم أشعر بشيء

– لقد أهوت به على مؤخرة رأسك ، فوقعت مغشياً عليك ، ثم جعلت وجهك فوق فتحة انبوبة الغاز بعد أن ادارت مفتاحها ، ثم أغلقت الباب والقت بالمفتاح من تحته الى داخل الغرفة ، ثم أحكمت اغلاق فتحتـــه السفلى بالمشاية الصوفية لكيلا يتسرب الغاز ويشم أحد رائحته فيسرع لإنقاذك

ولكننا – المفتش كمب وأنا – وصلنا في الوقت المناسب ، وقد رأيناهـا وهي تهبط من الطابق الثالث ، فاختبأنا في مدخل الطـابق الثاني ، وفيما أنا أسرع الى غرفتك ، كان المفتش كمب يسرع وراء روث حيث رآها تستقل سيارة خاصة كانت قد أوقفتها بعيداً عن البيت ، وهي نفس السيارة التي كادت ان تقتلك بها والتي جاءت بها الى البيت زاعمة انها لم تجد سيارة أجرة في الطريق ! وحتى لا نفطن الى كذبها ، اوقفتها في مكان بعيد عن مدخل البيت .. ولكن المفتش لحق بها وقبض عليها

– وفكتور دريك ؟!

– قبض عليه هذا الصباح بمجرد هبوطه من الطائرة في مطار نيويورك .

* * *

وساد الصمت فجأة .. وأخيراً قالت ايريس في صوت حزين :

– كل هذا من أجل المال ؟!

– نعم . ولهـذا لا أريد أن تكافئيني على براعتي ونبوغي ومهـارتي

بالمال . وانما ..

ثم نظر الى الكلونيل ريس باسماً . فأومأ الكلونيل برأسه وهو يبتسم ايضاً ، ثم غادر الغرفة ، وعندئذ أخذ أنتوني ايريس بين ذراعيه وضمها الى صدره وقبلها قائلاً :

– ان قبلة منك يا ايريس هي أعذب وأثمن مكافأة لي

وتنهدت ايريس ، وراحت ، مع انتوني ، يتبادلان الحديث عن الزواج